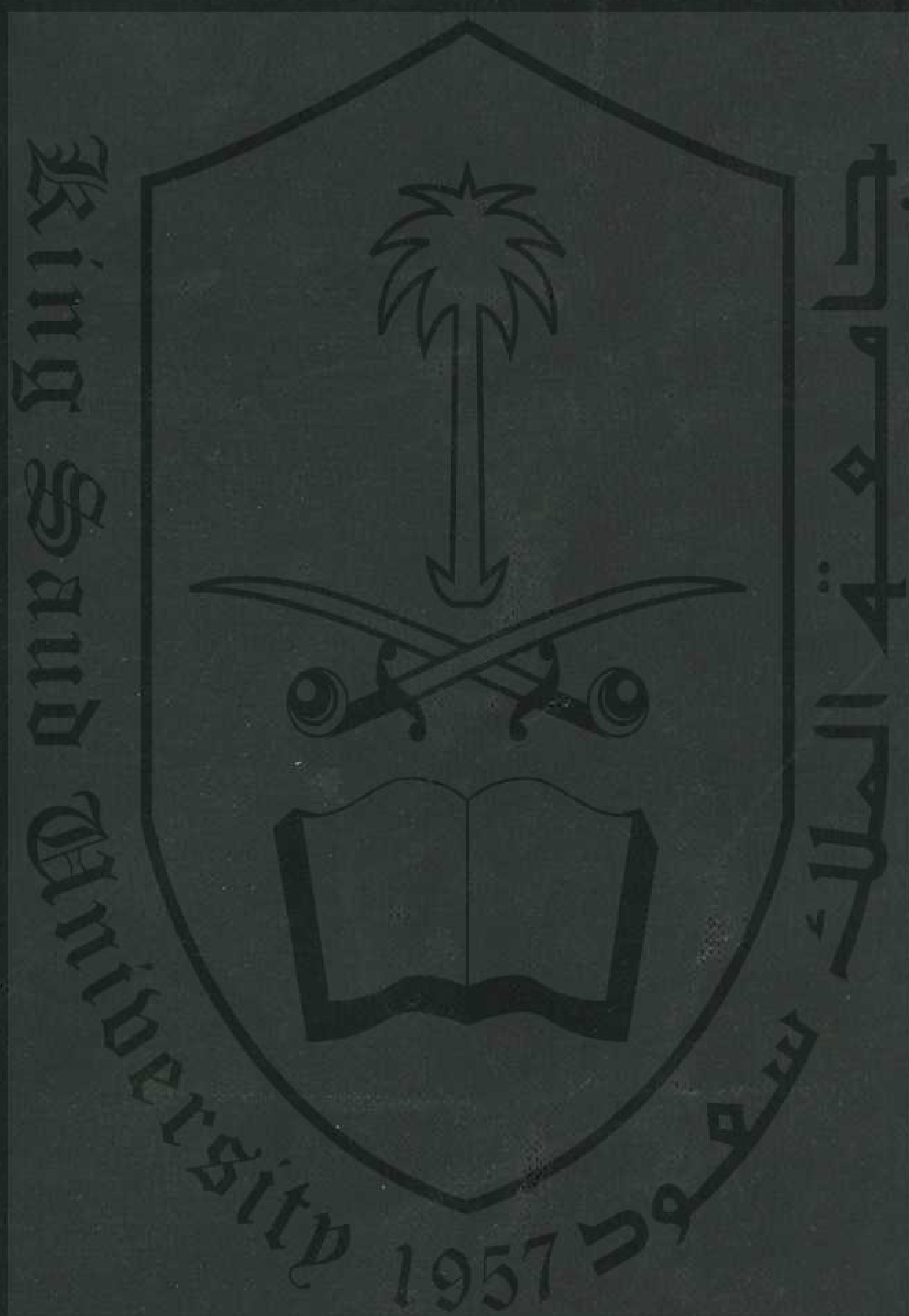


الشفا

القاضي عياض






King Saud University 1957
جامعة الملك سعود

٢١٩ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تأليف عياض بن
ش.ق موسى - ٥٤٤هـ . كتب فى القرن الثانى عشر
الـهجرى تقديراً .
٣٠٢ق ١٧س ٥ر٢٠×٥ر١٤سم
نسخة جيدة ، رؤوس الفقر بالحمرة ، خطها نسخ
٩٠٩ حسن ، طبع .
الأعلام ٥ : ٢٨٢ فهرس المخطوطات المصورة
ج ٢/ق ٣ : ١٩٣
١- السيرة النبوية أ- القاضي عياض، عياض بن
موسى - ٥٤٤هـ ب- تاريخ النسخ

من كتب الفقير درويش [illegible]
[illegible]
غفر الله له [illegible]
[illegible]
[illegible]
ثم انتظم في سلك ملك
الفقير خالد بن احمد [illegible]
رجب خالد العريف [illegible]
اكرمهم الله بالفلاح
والسعادة
١٢٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا الفقيه الاجل ابو القسم عبد الرحمن بن مكي الحافظ
السلفي قال اخبرني الفقيه الاجل ابو الحسن بن جبير الكناني
اجازة منه بثغر الاسكندرية قال حدثني ابو عبد الله التميمي
اجازة قال حدثني ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض
اليحصبي رضي الله عنه بسماعي عليه قال الحمد لله المنفرد
باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه
منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ولا وهما
والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما و
اسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم
عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنما وارجحهم عقلا
وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم

رأفة ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما
وآتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وآذانا صما
فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة
قسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء
حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى صلى الله
عليه وسلم صلاة تنمى وتنما وعلى آله وسلم تسليما اما بعد
اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما
لطف به لاوليائه المتقين الذين شرفهم الله بنزل قدسه و
اوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة
عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة ووله عقولهم
في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين
غيره فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته
وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه
يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
فانك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى
صلى الله عليه وسلم وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من
لم يوف بواجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل



قلامة ظفر • وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا من مقال •
وابينه بتنزيل صور وامثال • فاعلم اكرمك الله انك حملتني من
ذلك امرًا امرًا • وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا • وارقيتني
بما كلفتني مرتقًا صعبا • ملاء قلبي رعبا • فان الكلام في ذلك
في ذلك يستدعي تقرير اصول • وتحرير فصول • في الكشف عن
غوامض ودقائق • من علم الحقائق • مما يجب للنبي صلى الله عليه
وسلم • ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول
والرسالة والنبوة • والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية •
وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا • وتقصر بها الخطا • ومجاهل
تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد • ومداحض
تزل بها الاقدام • ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد لكني لما
رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب •
بتعريف قدره الجسيم • وخلقه العظيم • وبيان خصائصه التي
لم تجتمع قبل في مخلوق • وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو
ارفع الحقوق • ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا
ايمانا • ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس
ولا يكتمونه • ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله

بقرائتي عليه قال وحدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر النمري
حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر محمد بن بكر حدثنا
سليمن بن الاشعث حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا
علي بن الحكم عن عطا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم
القيمة فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه الغرض • مؤديا من
ذلك الحق المفترض • اختلستها على استعجال • لما المرء بصدده
من شغل البدن والبال • بما طوقه الانسان من مقاليد المحنة التي
ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل • وترد بعد حسن التقويم
الى اسفل سفل • ولو اراد الله بالانسان خيرًا لجعل شغله وهمه كله
في ما يحمد غدًا او يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم • او عذاب
الجحيم • ولكان عليه بخويصته نفسه واستنقاد مهجته • وعمل
صالح يستزيده وعلم نافع يستفيده • او يفيده جبر الله صدع
قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا • وجعل جميع استعدادنا لمعادنا •
وتوفر دواعينا فيما ينجينا • ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه
ورحمته • ولما نويت تقريبه • ودرجت تبويبه • ومهدت تاصيله
وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله • ترجمته بالشفاء

بتعريف حقوق المصطفى، وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة
القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي قولا وفعلا وتوجه
الكلام فيه في اربعة ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى عليه و
اظهار عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميله
تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية و
الدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث
فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدرها عند ربه
ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثني عشر
فصلا الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات
والمعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات وفيه ثلثون
فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه ويترتب
القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب
طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم
محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب الثالث في تعظيم امره
ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم
الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة
فصول القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما

يمتنع

وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان تضاف اليه صلى الله عليه
وسلم وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه
الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده
فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا
التاليف وعده وعند التقضي لموعده عن عهدته يشرق صدر
العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ انواره جوانح
صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره ويتحرر الكلام فيه في
بابين الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول
في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في احواله الدنيوية
وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول
القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه
عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان
ما هو في حقه سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في حكم شانيه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر
استتابته والصلوة ووراثته وفيه خمسة فصول وختمنا
بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله
في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي

صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في عشرة فصول
وتمامها يتنجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب وتلوح في غرة
الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة يزيح كل لبس
وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع
بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه نستعين
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم **القسم الاول في تعظيم العلي**
الاعلى لقدر هذا المصطفى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا قال
الفقيه القاضي الامام ابو الفضل رضي الله عنه لا خفا على من
مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من الفهم بتعظيم الله
تعالى قدر نبينا عليه الصلوة والسلم وخصوصه اياه بفضائل
ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره
بما تكل عنه الالسنة والاقلام **فمنها** ما صرح به تعالى في كتابه
ونبه به على جليل نصابه واثنى عليه من اخلاقه وادابه وحض
العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل
واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء
الاوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد اولى واخرى **ومنها** ما ابرزه
للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه با

بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل
العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات
البينة التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم
يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره
علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا **حدثنا** القاضي الشهيد ابو علي
الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه حدثنا ابو الحسين
المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا
ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن احمد بن
محبوب حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ حدثنا اسحق بن
منصور حدثنا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن انس عن النبي
صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به مسرجا ملجما
فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد
اكرم على الله منه قال فارفض عرقا **الباب الاول** في ثناء الله تعالى
عليه واظهاره عظيم قدره لديه **اعلم** ان في كتاب الله تعالى من ايات
كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره
وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه فجمعنا
ذلك في عشرة فصول **الفصل الاول** فيما جاء من ذلك مجيء المدح

والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من
انفسكم الاية قال السمرقندي وقرأ بعضهم من انفَسِكم بفتح
الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال القاضي عياض ابو الفضل رحمه الله
اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس
على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم
رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه
وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم
وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى
الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على
قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة
واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم
واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم
وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم وقال بعضهم اعطاه
اسمين من اسمائه رؤوف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية
وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا الاية وقوله

كا

كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الاية وما روى عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه عنه عليه السلام في قوله تعالى من انفَسِكم قال
نسبا وصهرا وحسبا قال ليس في ابائي من لدن ادم سفاح
كلنا نكاح قال ابن الكلبي عددت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس
مائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية
وعن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي
الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن
طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته
فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من
نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته
طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين
الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة
وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته
فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب
الا ترى ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت
حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم

ومما نى خير لكم وكما قال عليه الصلوة والسلم اذا اراد الله رحمة
بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندى
رحمه الله رحمة للعالمين يعنى الجن والانس وقيل لجميع الخلق
للمؤمنين رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة
للكافر بتاخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين و
الكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكى
يعنى ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلم
هل اصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت
الله تعالى علي بقوله ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم
امين وروى عن جعفر بن محمد الصادق فى قوله تعالى فسلام
لك من اصحاب اليمين اى بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة
محمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى الله نور السموات والارض
الاية قال كعب الاحبار وابن جبير المراد بالنور الثانى هنا محمد
صلى الله عليه وسلم وقوله مثل نوره اى نور محمد عليه السلم
وقاله سهل بن عبد الله المعنى الله هادى اهل السماء والارض
ثم قال مثل نور محمد اذ كان مستودعا فى الاصلاب كمشكاة
صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اى كانه

كوكب درى لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة
اى من نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها
يضئ اى تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل
كلامه كهذا الزيت وقد قيل فى هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد
سماه الله تعالى فى القران فى غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا
فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال سبحانه انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح
وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه بالاسلام
وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل
معناه الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك
وزرك الذى انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعنى قبل
النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره من
الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى والسلمى وقيل عصمناك ولولا
ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندى ورفعنا لك ذكرك
قال يحيى بن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معى قول لا اله الا الله
محمد رسول الله وقيل فى الاذان قال القاضى ابو الفضل هذا تقرير

من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه
وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان
والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور
الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه
على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه
للناس ما نزل اليهم وتنويهه لعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة
ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا
والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد
الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عليه السلم
فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت
الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطا
جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا
من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك
احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك
الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه
باسمه فقال واطيعوا الله والرسول وامنوا بالله ورسوله

فجمع بينهما بواو العطف المشركة فلا يجوز هذا الكلام في حق
غيره عليه السلم اخبرنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني
الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه حدثنا ابو عمر النمري
حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسة التمار حدثنا
ابو داود السجزي حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور
عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم
شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في
تقديم مشية الله تعالى على مشية من سواه واختارها بثم التي هي
للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث
الاخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله
ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه
الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه
انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث
الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما
وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله تعالى ان الله وملائكته

يصلون على النبي هل يصلون راجعة على الله والملائكة ام لا
فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك وخصوا
الضمير بالملائكة وقدروا الاية ان الله يصلي وملائكته يصلون
وقد روى عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله
ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية
وروى انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا
كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول الاية
فقرن اسمه باسمه وطاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون
في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه
عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى
ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله عز وجل صراط
الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله
ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم

عن

عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في
تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد عليه السلم
وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون
الايتين اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله
عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق با
لتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل
علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله
تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم الفصل الثاني في وصفه
له تعالى بالشهادة وما تعلق بها من الكرامة والثناء قال الله تعالى
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله
تعالى له في هذه الاية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من
المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من
خصائصه عليه السلم ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل
معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به
للحق اخبرنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله حدثنا ابو القسم

خاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي
حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا محمد
بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال
لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل والله انه لموصوف في
التورية ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع
بالسيئة السيئة ولكن يعفوا ويغفر ولن يقبضه الله تعالى
حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به
به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله
بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا
صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخناء اسدده
لكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر
شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته
والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة

واعلم

واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة
واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة
واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة
واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث اخر اخبرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التورية احمد عبدي
المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون
لله على كل حال وقال تع الذين يتبعون الرسول النبي الامي الايتين
وقد قال تع فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكرهم
الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين روفا لين الجانب ولو
كان فظا خشينا في القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله سمحا
سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعا وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل
نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي قوله في
الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهداء على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد الاية وقوله تعالى وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه الاية

وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم
امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم
الرسول بالصدق قيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم
فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة
محمد صلى الله عليه وسلم للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم
حكاه السمرقندي وقال الله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم
صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق
هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي
مصيبتهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم وعن ابي سعيد الخدري
هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق
عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة
اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي
هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب
محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عن السلمي

الفصل الثالث

فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة فمن ذلك قوله
تعا عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح

كلام

كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره
بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه
عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدا النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من
هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى اخبره بالعفو حتى سكن قلبه
ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره
من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى على
ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته
نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم
معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم
اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه
في الاذن لهم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله يجب على المسلم المجاهد
نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب بادب القران في
قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية
وروضة الاداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة
في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير
ما فيها من الفوائد وكيف ابتدى بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو

قبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب
الله تعالى الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة
لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدا بثباته
وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففى
اثناء عتبه برائته وفى طى تخويفه تامينه وكرامته ومثله
قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك
الاية قال على رضى الله عنه قال ابو جهل للنبى صلى الله عليه
وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله تعالى
فانهم لا يكذبونك الاية وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم
لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلم فقال ما يحزنك
قال كذبنى قومى فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله
تعالى الاية ففى هذه الاية منزع لطيف الماخذ من تسلينه تعالى
له عليه السلم والطافه فى القول بان قرره عنده انه صادق
عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا و
اعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا

التقرير

التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم
بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بايات
الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب
الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشى ثم انكره
كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم
عزاه وانسه بما ذكره عمن كان قبله ووعده بالنصر بقوله
ولقد كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف
فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائى لا يقولون
انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قراء با
لتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون
كذبك ومما ذكر من خصايصه وبر الله تعالى به ان الله تعالى
خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا ادم يا نوح يا ابرهيم
يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا با ايها
الرسول يا ايها النبى يا ايها المزمل الفصل الرابع فى قسمه تعالى
لعظم قدره قال الله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون
اتفق اهل التفسير فى هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة
حياة النبى صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين من العمر

ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا
محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك فهذه نهاية التعظيم
وغاية البر والتشريف قال ابن عباس ما خلق الله وما
ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم
وما سمعت الله اقسم بحياة احد غيره قال ابو الجوزاء
ما اقسم الله تعالى بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقران الحكيم
الايات اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو
محمد مكي انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند
ربي عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى
ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد
مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يا سين
يا انسان اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو
من اسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا
رجل وقيل يا انسان وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق
السماء والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال
والقران الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمائه صلى

الله

الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم
ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه وان كان
بمعنى النداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته و
الشهادة بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين
بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق
لا عوج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تع
لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه
وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه
السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد و
انت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك
منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد
حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد
عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد
الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة
والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله تعالى
حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى و
هذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه فيها فان

كونه امان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد
ادم فهو عام ومن قال هو ابرهيم وما ولد فهي انشاء
الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة
القسم به في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال
ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن
غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف
هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما السلم وحكى
هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه
الله انزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بهذا القران الذي
لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب
حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلته قران اسمه باسمه نحو
ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقران المجيد
اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث
حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله
وقيل هو اسم للقران وقيل اسم لله وقيل جبل محيط با
لارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير قوله تعالى
والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب

محمد

12

محمد صلى الله عليه وسلم هوى انشرح من الانوار وقال
انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال
عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان
عليه افضل السلم الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له
عليه السلم ليحقق مكانته عنده تعالى قال جل اسمه والضحى و
الليل اذا سجى الى اخر السورة اختلف المفسرون في سبب
نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام
الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم
به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال الفقيه
القاضي ابو الفضل رحمه الله تضمنت هذه السورة من كرامة
الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول
القسم له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى
اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني بيان
مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلا
اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك
الثالث قوله وللاخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق اي مالك
في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا

روى الحاكم في المستدرك انها امراة ابي لهب ام جميل بنت ... اخت ابي سفيان واسمها العوراء ولقبها حمالة الحطب

وقال سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود
خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع قوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة
وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين والزيادة
قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل
يعطيه الحوض والشفاعة وروى عن بعض آل النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ليس اية في القران ارجى منها ولا يرضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار
الخامس ما عده الله تعالى عليه من نعمه وقرره من الاية
قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هدايته
الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما اتاه
او بما جعله في قلبه من القناعة والغناء ويتيما فحدب
عليه عمه واواه اليه وقد قيل اواه الى الله وقيل يتيما
لا مثال لك فاواك اليه وقيل الم يجدك فهدا بك ضالا
واغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكره بهذا المنن وانه على
المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه
وقيل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه

واصطفائه

واصطفائه السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما
شرفه به بنشره واشارة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث
فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لامته
وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى
اختلف المفسرون في قوله والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من
ايات ربه الكبرى باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها
القران وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام وقال هو قلب
محمد عليه السلام وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق
وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله
عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الايات من فضله و
شرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل جلاله على هداية
المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلاه وانه وحي يوحى
اوصله اليه عن الله عز وجل جبريل وهو الشديد القوى ثم
اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة
المنتهى وتصديق بصره فيما راى وانه راى من ايات ربه الكبرى
وقد نبه سبحانه وتعالى على مثل هذا في اول سورة الاسرى
ولما كان ما كاشفه عليه السلم من ذلك الجبروت وشاهده

من عجايب الملكوت لا تحيط بها العبارات ولا تستقل بحمل
سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية
الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا
النوع من الكلام يسميه اهل البلاغة والنقد بالوحى والاشارة
وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال تعالى لقد راى من ايات ربه
الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام
فى تعيين تلك الايات الكبرى قال الفقيه القاضى ابو الفضل
رحمه الله واشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية
جملته عليه السلم وعصمتها من الافات فى هذا المسرى
فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه زكى قلبه بقوله ما كذب
الفؤاد ما راى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره
بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم
اى اقسم انه لقول رسول كريم اى كريم عند مرسله ذى قوة
على تبليغ ما حمله من الوحى مكين اى متمكن المنزلة من ربه
رفيع المحل عنده مطاع ثم اى فى السماء امين على الوحى قال
على بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم

فجميع

فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع
الاوصاف اليه ولقد رآه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم قيل
راى ربه وقيل راى جبريل فى صورته وما هو على الغيب
بظنين اى بمتهم ومن قرا بالضاد فمعناه ما هو بخيل بالدعا
به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم
باتفاق وقال تعالى ن والقلم الايات اقسم الله تعالى بما اقسم به
من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم
له وانسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة
ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة فى المخاطبة واعلى درجات
الاداب فى المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم
وثواب غير منقطع لا ياخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان
لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه
اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفى التاكيد فقال
وانك لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام وقيل
الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطى رحمه الله
اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك
على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن

قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله تعالى
ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة
وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية قال مكى سلاه الله
تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان
من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه
التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من
قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من
رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله بما اخبر به عن
الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم
وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول
من لقى ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول
عنهم اى اعرض عنهم فما انت بملوم اى فى اداء ما بلغت
وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى فاصبر لحكم ربك فانك
باعيننا اى اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك
سلاه الله بهذا فى آى كثيرة من هذا المعنى الفصل السابع
فيما اخبر الله تعالى به فى ايات كثيرة فى كتابه العزيز من عظيم
قدره وشريف منزلته على الانبياء وخضوة رتبته

قوله

قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسى
استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته
غيره ابانة به وهو ما ذكره فى هذه الاية قال المفسرون اخذ
الله الميثاق بالوحى فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته
واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه
ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال على بن ابى
طالب رضى الله عنه لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا
اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى
ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه
عن السدى وقتادة فى آى تضمنت فضله من غير وجه واحد
قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح الاية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله
وكيلا روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فى كلام بكى به
النبى صلى الله عليه وسلم فقال بابى انت وامى يا رسول الله لقد
بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبياء وذكرك فى اولهم

فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية
بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل
النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول قال قتادة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث
فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي
في هذا تفضيل نبينا عليه السلام بتخصيصه بالذكر قبلهم
وهو اخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم
عليه السلام كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات
محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت
له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء
اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله عليه وسلم
مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء
باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا ايها
النبي يا ايها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تع
وان من شيعته لابراهيم ان الها عائدة الى محمد صلى الله عليه وسلم

[margin: اى العرب والعجم لان غالب الوانهم ذلك وقيل الانس والجن صح]

ان

17

ان من شيعة محمد لابرهيم اي على دينه ومنهاجه واجازه
الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلم **الفصل
الثامن** في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له
ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم
من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الاية و
قوله ولولا رجال مؤمنون الاية فلما هاجر المؤمنون نزلت
وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام
وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأته
العذاب عن اهل مكة بسبب كونه فيهم ثم كون اصحابه بعده
بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين
عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم
ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تاويل اخر **حدثنا**
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل
بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا حدثنا ابو يعلى بن زوج
الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن المروزي حدثنا ابو عيسى

الحافظ حدثنا سفين بن وكيع حدثنا ابن نمير عن اسمعيل بن
ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابى بردة بن ابى موسى
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله تعالى
على امانين لامتى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم
الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين قال عليه السلم انا امان لاصحابى قيل من البدع وقيل
من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم
هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو
باق فاذا اميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن وقال تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبى الاية ابان الله تعالى فضل
نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته
وامر عباده بالصلاة عليه والتسليم وقد حكى ابو بكر فوره ان بعض العلما
تاول قوله عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة على هذا
اى فى صلاة الله على وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم
القيمة والصلوة من الملائكة ومنا له عليه السلم دعاء ومن الله
رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم

حين

حين علم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر
حكم الصلاة عليه ونكر بعض المتكلمين فى تفسير حروف
كهيعص ان الكاف من كاف اى كفاية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
قال اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال ويهديك
صراطا مستقيما والياء تاييده قال ايدك بنصره والعين
عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته
عليه قال ان الله وملائكته يصلون على النبى وقال تعالى وان
تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية اى وليه وناصره وصالح
المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل
على وقيل المؤمنون الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح
من كراماته قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله
فوق ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم
منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتها
اليه فابتدا جل جلاله باعلامه ما قضاه له من القضاء البين
بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه
مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد
غفران ما وقع وما لم يقع اى انك مغفور لك وقال مكى

جعل المنة سببا للمغفرة وكلٌ من عنده لا اله غيره منةً بعد
منة وفضلاً بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع
من تكبر عليك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في
الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع
متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره
وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره
النصر العزيز ومنته على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة
التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم
والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة
ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك
شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا الاية فعدد محاسنه وخصايصه من
شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدًا
لهم بالتوحيد ومبشرًا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرًا
عدوه بالعذاب وقيل محذرًا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به
من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه اي يجلونه وقيل ينصرونه
وقيل يبالغون في تعظيمه ويوقروه وقراه بعضهم ويعززوه
بزايين من العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم

٤

ثم قال ويسبحوه وهذا راجع الى الله عز وجل قال ابن عطا جمع
للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح
المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة
وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من
اعلام الولاية فالمغفرة تبرية من العيوب وتمام النعمة ابلاغ
الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال
جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته
ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في
المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر
واحل له ولامته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد
ولد ادم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني
التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني
بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق
ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته
وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد
لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم
وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم

وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول من باب
المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة
هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه
وانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت
حتى لم يبق منهم من لم تلا عينه وكذلك قتل الملائكة لهم
حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربي
ومقابلة اللفظ ومناسبته اى ما قتلتموهم وما رميتهم انت
اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى
قلوبهم بالجزع اى ان منفعة الرمى كانت من فعل الله فهو
القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم الفصل العاشر فيما
اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده
وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من
ذلك ما نصه الله تعالى في قصة الاسرى في سورة سبحان
والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه
ومشاهدته وما شاهده من العجايب ومن ذلك عصمته من
الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك الاية وقوله الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع

به

به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم
نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم
عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات ونزول السكينة
عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره اهل الحديث والسير
في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله بما اعطاه
والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل
الشفاعة وقيل المعجزات وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب
عنه عدوه ورد عليه قوله فقال تعالى ان شانئك هو الابتر
اى عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد
او الذى لا خير فيه وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني
والقران العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الاول والقران
العظيم ام القران والقران العظيم سائره وقيل السبع المثاني
ما في القران من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل و
اعداد نعم واتيناك نبأ القران العظيم وقيل سميت ام
القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها
لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الانبياء عليهم السلام

وسمى القران مثانى لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثانى
اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة
والولاية والتعظيم والسكينة وقال وانزلنا اليك الذكر الاية
وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا الاية وقال
قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الاية قال الفقيه القاضى
رحمه الله فهذه من خصائصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله
عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه السلم بعثت الى الاحمر
والاسود وقال تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه
امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اى
ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على
عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع راى النفس وازواجه
امهاتهم اى هن فى الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده
تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج فى الاخرة وقد قرا وهو
اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفة المصحف وقال تعالى وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة الاية وقيل فضله العظيم بالنبوة وقيل
بما سبق له فى الازل واشار الواسطى الى انها اشارة الى احتمال

الرؤية

الرؤية التى لم يحتملها موسى عليه الصلاة والسلم الباب
الثانى فى تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه
جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها
المحب لهذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم الباحث عن تفاصيل
جمل قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال فى البشر نوعان
ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا
ومكتسب دينى وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم
هى على قسمين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما
يتمازج ويتداخل فاما الضرورى المحض فما ليس للمرء فيه اختيار
ولا اكتساب مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال
صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة
حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة
قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من
غذائه ونومه وملبسه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه
الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن
على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين
الشريعة واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية

والاداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر
والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة
والحياء والمروة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن
الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي جمعها حسن الخلق جماعها
وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة واصل الجبلة
لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد
ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه
ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد
بها وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل
باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في موجب
حسنها وتفضيلها **فصل قال** الفقيه القاضي اذا كانت
خصال الجمال والكمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف
بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب
او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره
وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب
اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم
قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر
عنه

عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير
المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء
والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة
والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود
والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلوة با
لانبياء والامم وسيادة ولد ادم ولواء الحمد والبشارة و
النذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية
ورحمة للعالمين واعطاء الرضاء والسؤال والكوثر وسماع
القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر
ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة
والتاييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني
والقران العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلاة الله
والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال
عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات
والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه
وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان
والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا

وابراء الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محفل ولا
يحيط بعلمه الا ما نحه ذلك ومفضله بلا اله غيره الى ما اعد
له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب
السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول
ويحار دون دانيها الوهم فصل ان قلت اكرمك الله لا خفاء
عن القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلا الناس قدرا
واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت
في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف
عليها من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله
قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك
انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة
الخلقة وجدته صلى الله عليه وسلم حائزا لجميعها محيطا
بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد
بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب
اعضائه في حسنها فقد جاءت الاثار الصحيحة المشهورة
الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب
وابي هريرة والبراء بن عازب وعايشة ام المؤمنين وابن ابي

ولدام المؤمنين خديجة رض

هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس و
معرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن
فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله عليه وسلم
كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج
ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره
سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم
العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين
والقدمين سائل الاطراف (ويروى الاصابع) انور المتجرد دقيق المسربة ربعة
القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك
فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه
وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن
مثل حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن
الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم البدن ضرب (متبدا اللحم)
اللحم قال البراء ما رايت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء احسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه
واذا ضحك يتلألأ في الجدر (جمع جدار) وقال جابر بن سمرة وقال له رجل
كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل كان

مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض
ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من
قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر
ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه له من رآه
بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار
قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط
صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في
وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد
الى المطلوب ان شاء الله تعالى وقد ختمنا هذه الفصول بحديث
جامع لذلك تقف عليه هناك ان شاء الله **فصل** واما نظافة
جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات
الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره
ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين
على النظافة حدثنا سفين بن العاص وغير واحد قالوا حدثنا
احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي
حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن
سليمن عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا

ولا

ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت
ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره
مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد
ريحها ويضع على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها
ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت
امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو اطيب الطيب
وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه
ذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله
عليه وسلم ليس في رواية ابن جبير وروى المزني عن جابر اردفني
النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان
ينم مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض
فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله
عليه وسلم وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم

من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم و
هو قول بعض اصحاب الشافعي وقد حكى القولين عن العلماء
في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتاب البديع في فروع المالكية
وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية
وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره
ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من
الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت
منه ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط ومثله قال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه حين قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه
اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه
النار ومنه شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له
عليه السلم ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره
عليه وقد روي نحو من هذا عنه في امراة شربت بوله فقال
لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر احدا منهم بغسل
فم ولا نهاه عن عودة وحديث هذه المراة التي شربت بولها

صحيح

صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح
واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام
ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت
سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه
شيئا فسال بركة عن ذلك فقالت قمت وانا عطشانة فشربته
وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه
وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي
عن امه امنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة
رضي الله عنها ما رايت فرج النبي صلى الله عليه وسلم قط وعن
علي رضي الله عنه اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه
وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام وصلى ولم يتوضا
قال عكرمة لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا فصل واما
وفور عقله وذكائه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال
حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم

ومن تأمل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة
العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا
عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق
ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في
رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا ما لا يحتاج
الى تقدير وقد قال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين
كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس
عقلا وافضلهم رأيا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها
ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدأ الدنيا الى انقضائها
من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل
بين رمال الدنيا وكان مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا قام في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه
وبه فسر قوله وتقلبك في الساجدين وفي الموطا عنه عليه السلم
اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وعن
عايشة مثله قالت زيادة زادها الله اياها في حجته وفي بعض
الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر من بين يدي وفي اخرى
اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن

عايشة

عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما
يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه
وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه
وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده
وقد حكي عنه عليه السلم انه كان يرى من الثريا احد عشر
نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل
وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه
ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم كما اخبرنا
ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن المقرئ
الفرغاني حدثتنا ام القسم بنت ابي بكر عن ابيها حدثنا الشريف
ابو الحسن [illegible] علي بن محمد الحسني حدثنا محمد بن محمد بن سعيد
حدثنا محمد ابن احمد بن سليمن حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا
الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلم
كان يبصر النملة في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا
يبعد على هذا ان يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسرى
والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه

صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع
ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلث مرات كل
ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة
رضي الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو
غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت
معا واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب فصل
واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم
من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع و
براعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة
معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم واعلم
السنة العرب يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها
ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسالونه في
غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيره
علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز
ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن
بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووايل بن حجر الكندي وغيرهم

من

من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان لكم
فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها
لنا من دفيهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من
الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش
الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح قوله لنهد اللهم بارك
لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر
له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلوة كان مسلما و
من اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا
لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكاة
ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوات وكتب لهم في الوظيفة
الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو
الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم
ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد
والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال
العباهلة والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة
الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن
زنا مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنا مم

ثبت فضرجوه بالاضاميم ولا توصيه في الدين ولا غمة في
فرائض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال
اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام
هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر
استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس
ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية
السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة
قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث
العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك
اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته
المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها
الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى
فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ
دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله
الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة
من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرء عرف
قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله

عبداً

عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم
يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم
القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يالفون و
يؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه
وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال
وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات
ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة
تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله خير الامور اوساطها
وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما
وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم اني
اسئلك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي
وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني
بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني
اسئلك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر
على الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته
وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه
نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر

قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد
ان يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف
انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ
بغيره في اخواتها ما يدرك الناظر العجب في مظمنها ويذهب
به الفكر في ادنى حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو
افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القران بلساني
لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشات
في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة
البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها
الى التابيد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري
وقالت ام معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نذر ولا
هذر كان منطقه خرزات نظم وكان جهير الصوت حسن
النغمة صلى الله عليه وسلم فصل واما شرف نسبه وكرم
بلده ومنشئه فلا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان
مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم سلالة قريش
وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه
ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا

قاضي

قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي
ابو الوليد سليمن بن خلف حدثنا ابو ذر عبد بن احمد حدثنا
ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب
بن عبد الرحمن عن عمرو عن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة رض
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني
آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل خلق الخلق فجعلني
من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم
تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم
بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من كنانة قريشا
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال
الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه
الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه
فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب
فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار بني هاشم ثم اختار

بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب
العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم
وعن ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل
ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة
بتسبيحه فلما خلق الله ادم القى ذلك النور في صلبه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في
صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب ابرهيم
ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام
الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط
ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى الله
عليه وسلم المشهور فصل واما ما تدعو ضرورة الحيوة
اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته
وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما
التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة
كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما
وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم
والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا

والاخرة

والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ
وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب
للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل
على الغسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب
للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة
القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة
ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة
والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث
واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه
اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله
عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع
من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط
احدهما بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ رحمه الله بقراتي
عليه حدثنا ابو الفضل الاصبهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا
سليمن بن احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح
حدثني معوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن
معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ

ابن ادم وعاءً شراً من بطنه حسب ابن ادم اكلات يقمن
صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث
لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال
سفين الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف
لا تاكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتخسروا كثيرا وقد
روى عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما
كان على ضفف اى كثرة الايدى وعن عايشة رضي الله عنها
انها قالت لم يمتل جوف رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعا
قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه ان اطعموه
اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا الحديث
بحديث بريرة وقوله عليه السلم الم ار البرمة على النار فيها لحم
اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم
انه لا يحل له فاراد ان يبين سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع
علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه
وبين لهم ما جهلوه ثم امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية
وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست
الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح

العلم

العلم لمن ياكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم
اما انا فلا اكل متكيا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد في
الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس
على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر
منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للمستوفز مقعيا
ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك
نومه عليه السلم كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة
ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه
على جانبه الايمن استظهاراً على قلة النوم لانه على الجانب
الايسر اهناء لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة
حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال
فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق
فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثاني
ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما
النكاح فمتفق فيه شرعاً وعادةً فانه دليل الكمال وصحة الذكورية
ولم يزل التفاخر بكثرته عادةً معروفة والتمادح به سيرة ماضية

واما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة
اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه
السلام تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن التبتل
مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر الذين نبه عليهما صلى
الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر
واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال
سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد
فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات
والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن
عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان
قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا
قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز
عما يعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء
فلو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى بانه حصور ليس
كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق
المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب لا يليق
بالانبياء وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا يأتيها كانه

قد

قد حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة
في النساء فقد بان لك هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص
انما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه
السلام او بكفاية من الله كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها
شاغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر
عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة
علياء وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله
كثرتهن عن عبادة ربه تعالى بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه
بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست
من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال
حبب الي من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر من النساء والطيب
الذين هما من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه
بل للآخرة للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في
الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك
اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته
وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه و
مناجاته ولذلك ميز بين الحالتين فقال وجعلت قرة عيني في

الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد
فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على
القوة في هذا واعطى الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر
ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان
يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة
قال انس وكنا نتحدث انه اعطى قوة ثلثين رجلا اخرجه النسائى
وروى نحوه عن ابى رافع وقد قال سليمن عليه السلم لاطوفن
الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال
ابن عباس كان في ظهر سليمن عليه السلم ماء مائة رجل وكانت
له ثلثمائة امرأة وثلثمائة سرية وحكى النقاش سبعمائة امرأة
وثلثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلم على زهده واكله
من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج اوريا مائة وقد
نبه على ذلك في كتاب العزيز فقال ان هذا اخى له تسع وتسعون
نعجة وفي حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس
باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه
فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب
وقد قال تعالى في قصة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والآخرة

لكن

لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك ذمه
من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو
في الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة
في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه
ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم
اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي
بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة
انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال لها يا مسكينة عليك السكينة
وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له
عليه السلام هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم
قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء
والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة
سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل تضمنا هذا القسم باسره
فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح
به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على
الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به لحاجاته
وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان

المال بهذه الصورة وصاحبه منفقًا له في مهماته ومهمات
من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي و
الثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه
عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير
وقصد بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل
حال ومتى كان صاحبه ممسكًا له غير موجهه وجوهه
حريصًا على جمعه عاد كثيره كالعدم وكان منقصةً في صاحبه
ولم يقف على حد دار السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل و
مذمة النذالة فاذًا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله
ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى متمدح ولا وجه وجهه
غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من
العقلاء بل هو فقير ابدًا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما
بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال
غيره ولا مال له فكانه ليس في يده شيء منه والمنفق غني ملي
بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر
سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد
اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل

لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز
واليمن وجميع جزيرة العرب وما داني من الشام والعراق
وجبيت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى
للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر
بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى
به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا
يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني ومات ودرعه
مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه
على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجد
فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ
ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع
لمن لم يحضره اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من
خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها
نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط
لمروة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع
ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعوده الى الفخر
بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن

وسعته وكثرة الاثاث وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض
وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة
المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زايد
عليها في الفخر ومعرف في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها
وبذلها في مضانها فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق
الحميدة والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل
صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد فضلا عما فوقه
واثنا الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق
بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسمى بحسن الخلق
وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون
الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله
عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى
الله عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عايشة رضي الله عنها
كان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال انس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول

فطرته

فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية
ربانية وهكذا لسائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم
الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى
وسليمن وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في
الجبلة واودعوا الحلم والعلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى واتيناه
الحكم صبيا قال بعض المفسرين اعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه
وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب
فقال اللعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق
يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه
وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد
ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله على كلام عيسى
لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزني على قراءة من قرأ
من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه في
مهده فقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال ففهمناها
سليمن وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمن وهو صبي
يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه
وحكى الطبري ان كان عمره حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك

قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون
فى قوله تعالى ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل اى هديناه صغيرا
قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابتداء خلقه
وقال بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله اليه ملكا يأمره عن الله
ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل
فذلك رشده وقيل ان القاء ابرهيم عليه السلام فى النار ومحنته
كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو
ابن سبع سنين وان استدلال ابرهيم بالكوكب والقمر والشمس
كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحى الله الى يوسف وهو
صبى عند ما هم اخوته بالقائه فى الجب بقول الله تعالى واوحينا
اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك من اخبارهم وقد
حكى اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا صلى الله عليه
وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السما
وقال فى حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت الى الاوثان
وبغض الى الشعر ولم اهم مما كانت اهل الجاهلية تفعله الا مرتين
فعصمنى الله منهما ثم لم اعد ثم تتمكن الامر لهم وتترادف نفحات
الله عليهم وتشرق انوار المعارف فى قلوبهم حتى يصلوا الغاية

ويبلغوا

ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة فى تحصيل هذه الخصال
الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما
بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على
بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتسا
تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان
على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد
غيرهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين
الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما
قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى
الطبرى عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة فى العبد
وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب
ما اصلناه وقد روى سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حديثه والجراءة والجبن
غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال
الشريفة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه

صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى فصل واما اصل فروعها
وعنصر ينابيعها ونقطة مركز دائرتها فالعقل الذى ينبعث العلم و
المعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الراى وجودة الفطنة والاصابة
وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة
الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل
وقد اشرنا الى مكانه منه عليه السلام وبلوغه منه ومن العلم
الغاية القصوى التى لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك
ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجارى احواله واطراد سيره
وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدايع سيره وحكم حديثه
وعلمه بما فى التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء
وسير الامم الجاهلية وايامها وضرب الامثال وسياسات
الانام وتقرير الشرائع وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة
الى فنون العلوم التى اتخذ اهلها كلامه عليه السلم فيها قدوة
واشاراته حجة كالعبادة والطب والحساب والفرائض والنسب
وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته ان شاء الله تعالى دون تعليم
ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم
بل نبى امى لم يعرف بشئ من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره
الاظهر

وعلمه

٢٧ وعلمه واقراه بعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة با
لبراهين القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص
واحاد القضايا اذ مجموعها لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع
وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر
ما علمه الله تعالى واطلعه من علم ما يكون وما كان وعجايب قدرته
وعظم ملكوته قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله
عليك عظيما حارت العقول فى تقدير فضله عليه وخرست الالسن
دون وصف يحيط بذلك او ينتهى اليه فصل واما الحلم والاحتمال
والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق
فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس
النفس عند الالام والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة
واما العفو فهو ترك المواخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وامر بالعرف الاية وروى
ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية سال جبريل
عن تاويلها فقال له حتى اسال العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد
ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو
عن من ظلمك وقال له تعالى واصبر على ما اصابك الاية وقال واصبر

كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الآية
وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفا بما يؤثر
من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه
هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا
وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره
قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره
حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك
عن شهاب عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان
كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله
عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه
يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم
فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد
قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض
كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح عليه السلم
على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الآية ولو دعو

علينا

٢٨

علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي
وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل رحمه الله انظر
ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق
وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم
على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا
لهم وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة
والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم
لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه
الله لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها
بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم
اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث
ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده
قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال
الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي عليه السلام وقال من يمنعك
مني قال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من

عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية
التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه
لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه
بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ
عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم
في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث
ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة
حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي
على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك
ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال
الله وانا عبد الله ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال
ولم قال لانك لا تكافي السيئة بالسيئة ولكن تعفو وتصفح
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل على بعير شعير وعلى
الاخر تمر قالت عايشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من
محارم الله قط وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله

وما

وما ضرب خادما ولا امرأة قط وجيء اليه برجل فقيل له هذا
اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن
تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة
قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبيه و
اخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال له انكم يا بني عبد المطلب
مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم
يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو الى غير
هذا كنا منك احوج يا عمر تامرني بحسن القضاء وتامره بحسن
التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر ان يقضيه ماله
ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه ذلك
وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد
عرفتها في محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده
شدة الجهل الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث
عن حلمه عليه السلم وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من
ان نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة
قريش واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم

الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال
شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفى وصفح وقال
ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول
كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم الاية اذهبوا
فانتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلوة
الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذى كف
ايديهم عنكم وايديكم عنهم الاية وقال لابى سفين بعد ان سيق
اليه وقد جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفى
عنه ولاطفه في القول ويحك يا با سفين الم يأن لك ان تعلم ان
لا اله الا الله فقال بابى انت وامى ما احلمك واوصلك واكرمك
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم
رضى صلى الله عليه وسلم فصل واما الجود والكرم والسخاء
والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق
فجعلوا الكرم والانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه
وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافى عما يستحقه
المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة

الانفاق

الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد فهو الجود وهو ضد التقتير
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق
الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضى الشهيد
ابو على الصدفى رحمه الله ثنا القاضى ابو الوليد الباجى ثنا ابو ذر
الهروى حدثنا ابو الهيثم الكشميهنى وابو محمد السرخسى وابو
اسحق البلخى قالوا ثنا ابو عبد الله الفربرى البخارى ثنا محمد بن
كثير ثنا سفين عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول
ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا وعن
انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم
اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان فكان اذا لقيه
جبريل عليه السلم اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا
ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده فقال اسلموا فان محمدا
يعطى عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى
صفوان مائة ثم مائة ثم مائة فهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب
المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة الاف
واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون

الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد
سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي
شئ ولكن ابتع على فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال له عمر
ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف
من ذي العرش اقلالا قال فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم
وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي
وذكر عن معوذ بن عفر قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع
من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء
كفه حليا وذهبا وقال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا
يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم
كثير وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتى رجل النبي عليه السلم
يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف
وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضا
ونصفه نائل عطا فصل واما الشجاعة والنجدة والشجاعة
فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس
عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف

فكان

فكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد
حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة
وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع
الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا ابو
علي الجياني فيما كتب لي ثنا القاضي سراج ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا
ابو زيد الفقيه ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابن بشار
ثنا غندر ثنا شعبة عن ابي اسحق سمع البراء وسأله رجل افررتم
يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء
وابو سفيان اخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي
لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يومئذ احد
كان اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن
بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون و
الكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم
يركض بغلته نحو الكفار وانا اخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا
تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث
وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا

لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا
اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رض
انا كنا اذا حمي البأس ويروى اشتد الباس واحمرت الحدق
اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى
العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل
كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا
دنى العدو لقربه منه **وعن** انس كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن
الناس واشجع الناس واجود الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة
فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي
طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا **وقال**
عمران بن الحصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا
كان اول من يضرب ولما راه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول
ابن محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم يوم
بدر حين افتدى عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك
عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله

فلما

فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحرث بن الصمة
فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر
البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه
في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا
من اضلاعه فرجع الى قريش وهو يقول قتلني محمد وهم يقولون
لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال
انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى
مكة **فصل** واما الحياء والاغضاء والحياء رقة تعتري
وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا
من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته و
كان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم
عن العورات اغضاء **قال** الله سبحانه وتعالى ان ذلكم كان يؤذي
النبي فيستحيي منكم الاية **حدثنا** ابو محمد بن عتاب رحمه الله
بقراءتي عليه ثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي
حدثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل

حدثنا عبدان ابا عبدُالله ابا شعبة عن قتادة سمعت عبد اللهُ
مولى انس عن ابى سعيد الخدرى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشد حياءً من العذراءِ وكان اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه وكان
صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافِهُ احدا
بما يكرهه حياء وكرمَ نفس وعن عايشة رضى الله عنها كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال
فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا
ينهى عنه ولا يسمّى فاعِله وروى انس انه دخل عليه رجل به اَثَرُ صُفرَة
فلم يقل له شيئا وكان لا يواجِهُ احدا بما يكره فلمّا خرج قال لو
قلتم له يَغسِلُ هٰذا ويُروى ينزعُها قالت عايشة فى الصحيح لم يكن
النبى صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحّشاً ولا سخابا بالاسواق
ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكى مثل هذا
الكلام عن التورية من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص
وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه كان من حيائه لا يثبت بصره فى
وجه احد وانه كان يكنى عمّا اضطره الكلام مما يكره وعن عايشة
رضى الله عنها قالت ما رايت فَرَجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط فصل واما حسن عِشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه

وسلم

وسلّم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبارُ الصحيحة قال
على رضى الله عنه فى وصفه عليه السلم كان اوسع الناس صدراً
واَصدق الناس لهجةً واَلينهم عريكةً واكرمهم عِشرةً حدثنا
ابو الحسن على بن المُشرَّف الانماطىُ فيما اجازنيه وقرأته على غيره
ثنا ابو اسحٰق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابى حدثنا
ابو داود ثنا هشام ابن مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا ابو الوليد
ابن مسلم ثنا الاوزاعى سمعت يحيى بن ابى كثير يقول حدثنى محمد بن
عَبدِ الرحمن بن اسعد بن زرارةَ عن قيس بن سعد قال زادنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصةً فى اٰخرها فلما اَراد
الانصِرَاف قرّب اليه سعدٌ حماراً وَطّأ عليه بقطيفة فركب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعدٌ يا قَيسُ اصحَبْ رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اركبْ فابيتُ فقال اِمّا ان تركب واِمّا ان تنصرف قال فانصرفت
وفى رواية اُخرى اركب امامى فصاحبُ الدابةِ احق بمقدمها وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلّفِهُم ولا ينفرّهم ويكرِمُ كريمَ
كلّ قوم ويولّيه عليهم ويحذر الناسَ منهم من غير ان يطوى عن
احد منهم بشرَه ولا خلقه يتفقّد اَصحابَه ويعطى كلّ جلسائه

نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه
او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله
حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه
ابن ابي هالة وكان دايم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ
ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل
عما لا يشتهي ولا يوبس منه وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم
ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي
هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو
كانت كراعا ويكافي عليها قال انس خدمت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته
لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عايشة رضي الله عنها ما
كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه
احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله
ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني
الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب
صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة

والمسكين

والمسكين ويعود المرضى في اقصا المدينة ويقبل عذر المعتذر
قال انس ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي
رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما اخذ احد بيده
فيرسل يده حتى يكون الاخذ هو الذي يرسلها ولم ير مقدما ركبتيه
بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه
بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بالوسادة التي تحته ويعزم
عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب
اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز فيقطعه
بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروي انه لا يجلس اليه
احد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد
الى صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه
قران او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحرث ما رأيت احدا اكثر
تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس قال كان خدم
المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة
بانيتهم فيها الماء فما يؤتى بانية الا غمس يده فيها وربما كان
ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك فصل واما الشفقة
والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم

حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله اعطاه
اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وحكى الامام ابو
بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي
عليه ثنا امام الحرمين ثنا ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي
ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابراهيم بن سفين ثنا مسلم بن الحجاج
ثنا ابو الطاهر انا ابن وهب انا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول
الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صفوان ابن امية مائة من النعم ثم مائة
ثم مائة قال ابن شهاب ثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال
والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال
يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا جاءه يطلب منه
شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا
اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم
قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك
قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي من ذلك

شئ

شئ فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب
ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه
فزعم انه رضي اكذلك هو قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل رجل له ناقة شردت اروت ونفرت ه
عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها
خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين
يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت
وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال
الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه صلى الله عليه وسلم
قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان
اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته عليه السلم
تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض
عليهم كقوله عليه السلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك
عند كل صلاة او عند كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم
عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته
لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي

فيتجوز في صلاته ومن شفقته عليه السلام انه دعا ربه وعاهده
فقال ايما رجل سببته اولعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة
وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه
قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله قد سمع قول قومك
لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت
ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين (جبلا مكة) فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك
به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى
الله عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك
فقال اوخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت عايشة رض
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما
وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا (يتعهدنا)
بالموعظة مخافة السامة علينا وعن عايشة انها ركبت بعيرا و
فيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليك بالرفق فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفا
وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن
اسمعيل بقراءتي عليه ثنا ابو بكر محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان

ثنا

ثنا ابرهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن
شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء بايعت النبي صلى الله
عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه
بها في مكانه قال فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في
مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا منذ ثلاث ههنا انتظرك
وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا
بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب
خديجة وعن عايشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت
على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهدي
في خلايلها واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت
اليه امرأة فهش لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال
انها كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان
ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم
على من هو افضل منهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آل فلان
ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى عليه
السلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها
واذا قام حملها وعن ابي قتادة قال وفد وفد للنجاشي فقام النبي

صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نحن نكفيك
فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم
ولما جئ باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت
له بسط لها رداءه وقال لها ان احببتي اقمتي عندي مكرمة
محببة او متعتك الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو
الطفيل رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ
اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه
فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمر بن السايب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة
فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه من الرضاعة فوضع
لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من
الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه
وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة
فلما ماتت سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث
خديجة انها قالت له عليه السلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا
انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف
وتعين على نوايب الحق فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم

على

على علو منصبه ورفعة مرتبته فكان اشد الناس تواضعا
واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا عبدا او نبيا ملكا
فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك ان الله قد
اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم القيمة واول
من تنشق الارض عنه واول شافع واول مشفع حدثنا ابو الوليد
ابن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنه
سبع وخمس مائة ثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابن عبد المومن
ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبد الله
ابن نمير عن مسعر عن العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن
ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
متوكيا على عصى فقمنا له فقال لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم
بعضها بعضا وقال عليه السلام انما انا عبد اكل كما ياكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وكان عليه السلام يركب الحمار ويردف
خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد
ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس
وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن
مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس ان امراة

له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن
اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال
تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم
ولما اختلفت قريش وتحاربت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر
حكموا اول داخل عليهم فاذا النبي صلى الله عليه وسلم داخل
وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن
الربيع ابن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله اني
لامين في السماء امين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ
بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل من خيرون ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة
ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ
ثنا ابو كريب ثنا معوية بن هشام عن سفين عن ابي اسحق عن ناجية
ابن كعب عن علي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا
لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله فانهم لا يكذبونك
الاية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس
ابن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري
وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو

جهل

جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه
ابا سفين فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال
قال لا وقال النضر بن الحرث لقريش قد كان فيكم محمد غلاما حدثا
ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم
في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله
ما هو بساحر وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما لمست
يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث علي في وصفه عليه
السلم اصدق الناس لهجة وقال صلى الله عليه وسلم في الصحيح ويحك
فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عايشة
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد
قسم كسرى اياميه فقال يوم الريح يصلح للنوم ويوم الغيم للصيد
ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوايج قال ابن خالويه
ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهم عن الاخرة غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزء نهاره
ثلثة اجزاء جزءا لله وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزءه
بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا

حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع
امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يأخذ احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد
وذكر ابو جعفر الطبري عن علي ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية
يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك
ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان
يرعى لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشاب
فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف
والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت
فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني
مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهمم بعد ذلك بسوء فصل واما
وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته وحسن
هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه
ثنا ابو العباس الدلائي انا ابو ذر الهروي انا ابو عبد الله الوراق
ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عبد الرحمن ابن سلام ثنا حجاج بن
محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز عن وهيب
سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر

الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد
الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس ٤٢
احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم
محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو
في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض
عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول
ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به
مجلسه مجلس علم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات
ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير
وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي
الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير غرض
ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود ان احسن
الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان
في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن
ابي هالة كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يحب الطيب والرايحة الحسنة ويستعملهما كثيراً ويحض عليهما
ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني
في الصلاة ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في
الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء
البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة صلى الله عليه وسلم

فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار في اثناء هذه
السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها
وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي
صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة
عياله وهو يدعوا ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا
سفين بن العاص والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله
التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو
احمد الجلودي ثنا ابن سفين ثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج ثنا
ابو بكر بن ابي شيبة ثنا ابو معوية عن الاعمش عن ابرهيم عن
الاسود عن عايشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلثة ايام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى
من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء الله لاعطاه ما لا يخطر

ببال وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه
وسلم من خبز بر حتى لقي الله قالت عايشة ما ترك رسول الله صلى
الله عليه وسلم ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً وفي
حديث عمرو بن الحرث ما ترك رسول الله عليه السلام الا بغلته
وسلاحه وارضاً جعلها صدقة قالت عايشة ولقد مات
وما في بيته شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال
لي اني عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب
اجوع يوماً واشبع يوماً فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع
اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك
وفي حديث آخر ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له ان
الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهباً
وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان
الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا
عقل له فقال له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت وعن عايشة
رضي الله عنها قالت انا كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد
ناراً ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير

وعن عايشة وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان
النبي صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهل بيته الليالي المتابعة
طاويا لا يجدون عشاءً وعن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على خوان ولا سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى
شاة سميطا قط وعن عايشة انما كان فراشه الذي ينام
عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة قالت كان فراش رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه ثنتين فينام
عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال وما فرشتم لي
الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتني
الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط
حتى يوثر في جنبه وعن عايشة قالت لم يمتلي جوف النبي صلى الله
عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة
احب اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا يلتوي طول ليلته من
الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز
الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى
به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك
الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عايشة ما لي

ولدنيا

ولدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد
من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم
واجزل ثوابهم واجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي
ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق
باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد هذا الا شهرا حتى توفي
صلى الله عليه وسلم فصل واما خوفه ربه وطاعته له وشدة
عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن
عتاب قراءة مني عليه ثنا ابو القسم الطرابلسي ثنا ابو الحسن
القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا محمد
ابن اسمعيل البخاري حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن
ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي يرفعه
الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما
وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع
جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون

الى الله

الى الله انى شجرة تعضد روى هذا الكلام وددت انى شجرة
تعضد من قول ابى ذر نفسه وهو اصح وفى حديث المغيرة صلى
الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفى رواية كان يصلى حتى
ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابى سلمة
وابى هريرة وقالت عايشة كان عمل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ديمة وايكم يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر
ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة و
انس وقالت كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رأيته
مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف بن ملك كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام يصلى
فقمت معه فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال
ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه
يقول سبحان ذى الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد و
قال مثل ذلك ثم قرا ال عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك
وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين
السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا البقرة وال عمران والنساء

والمائدة

والمائدة وعن عايشة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية
من القران ليلة وعن عبد الله بن الشخير اتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابى هالة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكر
ليست له راحة وقال عليه السلام انى لاستغفر الله فى اليوم مائة
مرة وروى سبعين مرة وعن على رضى الله عنه قال سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالى والعقل
اصل دينى والحب اساسى والشوق مركبى وذكر الله انيسى والثقة
كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر ردائى والرضى غنيمتى
والفقر فخرى والزهد حرفتى واليقين قوتى والصدق شفيعى
والطاعة حسبى والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلاة وفى حديث
اخر وثمرة فؤادى فى ذكره وغمى لاجل امتى وشوقى الى ربى فصل
اعلم وفقنا الله واياك ان جميع الانبياء والرسل صلوات الله
عليهم اجمعين من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب
وحسن الخلق وجميع المحاسن فى هذه الصفة لانها صفات
الكمال والكمال البشرى والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم
اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله

بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه
السلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر
ثم قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم عليه
السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة
رايت موسى فاذا رجل ضرب رجل كانه من رجال شنوءة ورايت
عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من
ديماس حمام وفي حديث اخر مبطن مثل السيف قال صلى الله عليه
وسلم وانا اشبه ولد ابرهيم به وقال في حديث اخر في صفة
موسى كاحسن ما انت راى من ادم الرجال وفي حديث ابي
هريرة عنه عليه السلام ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا
الا في ذروة من قومه ويروى ثروة يعني كثرة ومنعة وحكى
الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن
انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم
احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسالتك
عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث
في انساب قومها وقال تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد

انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث
حيا وقوله ان الله يبشرك بيحيى الى قوله من الصالحين وقال ان
الله اصطفى ادم ونوحا الايتين وقال في نوح انه كان عبدا
شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين
وقال اني عبد الله اتاني الكتاب الى ما دمت حيا وقال يا ايها
الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من
جسده شيء استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي
حكما الاية وقال في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين و
قال ان خير من استاجرت القوي الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا
الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح و
الهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام حليم
وعليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم
الى امين وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل
انه كان صادق الوعد الايتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي
سليمن نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابرهيم واسحق

ويعقوب اولى الايدى والابصار انا اخلصناهم الى الاخيار وفى
داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل
الخطاب وقال عن يوسف اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ
عليم وفى موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا وقال وما
اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون فى
الخيرات الاية قال سفين هو الحزن الدائم فى اى كثيرة ذكر فيها
من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء فى
ذلك من الاحاديث كثير كقوله صلى الله عليه وسلم انما الكريم بن
الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نبى بن
نبى بن نبى وفى حديث انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم وروى ان سليمن كان مع ما اوتى من الملك لا يرفع بصره
الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذيذ الاطعمة
ويأكل خبز الشعير واوحى اليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين
وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح فى جنوده فيأمر الريح فتقف
فينظر فى حاجتها ويمضى وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت
على خزائن الارض قال اخاف اذا شبعت ان انسى الجائع وروى ابو هريرة

عنه

عنه عليه السلام خفف على داود القران فكان يأمر بدابته
فتسرج فيقرأ القران قبل ان تسرج ولا يأكل الا من عمل يده قال الله
تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر فى السرد وكان
سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت المال الله وقال
عليه السلام احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام
الى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام
سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يفترش الشعر ويأكل
خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا
بعد خطيئته ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من الله تعالى
ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه و
حتى اتخذت الدموع فى خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا
يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل
لعيسى بن مريم عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على
الله من ان يشغلنى بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن
له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامى اليه ان يقال
له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين يرى
خضرة البقل فى بطنه من الهزال وقال عليه السلام لقد كان

الانبياء من قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب
اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير
لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني
النطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من
خشية الله حتى اتخذت الدموع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش
لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام
كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة حجر ويكرع فيها اذا اراد ان
يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه و
اخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل
الاخلاق وحسن الصور والشمائل مشهودة معروفة
فلا نطول بها ولا تلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين
والمفسرين مما يخالف هذا **فصل** قد اتيناك اكرمك الله من ذكر
الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة
واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الاثار ما
فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه
وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه
زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في

الصحيح

الصحيح والمشهور من الصفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض
من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي
هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية
من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله
حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي
عليه سنة ثمان وخمسمائة ثنا الامام ابو القسم عبد الله بن طاهر
التميمي قرأت عليهما اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله
ابن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن
الحسن بن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي
قالوا حدثنا ابو القسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي انا
ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة
الحافظ ثنا سفين بن وكيع ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي
املاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة
زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن
لابي هالة عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سألت خالي هند
ابن هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ ابي طاهر
احمد بن الحسن بن احمد بن خذاذا الكرخي الباقلاني قال واجاز لنا
معناه عطاء اسمع

الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا اخبرنا
ابو علي الحسن بن احمد بن ابرهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن
حرب بن مهران الفارسي قراءه عليه فاقر به انا ابو محمد الحسن
ابن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن
ابي طالب المعروف بابن ابي طاهر العلوي ثنا اسمعيل بن محمد بن
اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب حدثني
علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين اخيه موسى بن جعفر بن محمد
عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي و
اللفظ لهذا السند سالت خالي هند بن ابي هالة عن حلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان
يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان صلى الله عليه وسلم فخما
مفخما يتلألؤ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر
من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق
والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع
الجبين ازج الحاجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره
الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتامله اشم
كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان

دقيق

دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفا الفضة معتدل
الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد
ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة
والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك
اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب
الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف او قال سائن
الاطراف وسابر الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين
مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال تقلعا ويخطو تكفوا
ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا
التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره
الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه با
لسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم
في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه و
يتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس
بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن
يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشي حتى

ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه
كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها وضرب بابهامه
اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض
طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن
فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني
اليه فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم و
مخرجه وملبسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين
سالت ابي عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان
دخوله لنفسه ماذونا له في ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزا
دخوله ثلثة اجزاء جزء لله تعالى وجزء لاهله وجزء لنفسه
ثم جزا جزوه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة
ولا يدخر عنهم شيئا وكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل
الفضل باذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين منهم ذو
الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوايج فيتشاغل
بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسالته عنهم واخبارهم
بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغايب وابلغوني
حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا

حاجة

حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر
عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفين بن
وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني
فقهاء قلت اخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويولفهم
ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس و
يحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد
اصحابه ويسال الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه
ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة
ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا
يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده
اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة
وموازرة ثم قال فسالته عن مجلسه ما يصنع فيه فقال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن
الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي
به المجلس ويامر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب
جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة

صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من ساله حاجة لم يرده الا
بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار
لهم ابا وصاروا عنده فى الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى
وفى الرواية الاخرى صاروا عنده فى الحق سواء مجلسه مجلس
حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه
الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون
بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير
ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب قالت عن سيرته صلى الله
عليه وسلم فى جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب
ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤيس
منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك
الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته
ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده
انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون
ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة فى المنطق ويقول

اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء
الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه
بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفين بن وكيع وزاد الاخر
قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على
اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففى تسوية
النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى و
جمع له الحلم صلى الله عليه وسلم فى الصبر فكان لا يغضبه شئ
يستفزه وجمع له فى الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه
القبيح لينتهى عنه واجتهاده الراى بما اصلح امته والقيام لهم بما
جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله وعونه فصل
فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اى البائن
الطويل وهو مثل قوله فى الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط و
الشعر المرجل الذى كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا
جعد والعقيقة شعر الراس اراد ان انفرقت من ذات نفسها
فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصة وازهر اللون نيره
وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اى زينتها وهذا كما
قيل فى الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق

والذريع الواسع الخطو اى ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة
ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك
برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله
يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة فمه والعرب تتمادح
بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام
البرد وقوله ويرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه
ما يوصل الخاصة اليه فيوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة
ثم يبدلها فى جزء اخر للعامة ويدخلون رواداً اى محتاجين اليه
وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه
ويشبه ان يكون على ظاهره اى فى الغالب والاكثر والعتاد العدة
والشئ الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن
اى لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا
مفسرا فى غير هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه على ما
يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اى تذكر بسوء ولا تنثى فلتاته
اى يتحدث بها ان لم يكن فيه فلتة واذا كانت من احد سترت
ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل
الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه وقيل

الا من مسلم وقيل الا من مكافى على يد سبقت من النبى صلى الله
عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفى حديث اخر فى وصفه
منهوس العقب اى قليل لحمها واهدب الاشفار اى طويل
شعرها **الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها**
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به فى الدارين من كرامته
صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد ادم
وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى
واعلم ان الاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها
على صحيحها ومنتشرها وقد حصرنا معانى ما ورد منها فى اثنى
عشر فصلا **الفصل** الاول فيما ورد من مكانته عند ربه و
الاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما خصه
به فى الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب **اخبرنا** الشيخ ابو
محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه انا ابو الحسن الفرغانى
حدثتنا ام القسم بنت ابى بكر بن يعقوب عن ابيها ثنا حاتم وهو
ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحمانى ثنا قيس عن الاعمش
عن عباية بن ربعى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله خلق الخلق قسمين فجعلنى من خيرهم قسما

فذلك قوله اصحاب اليمين ما اصحاب اليمين واصحاب الشمال
ما اصحاب الشمال فانا من اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل
القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله واصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة
والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين
ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيله وذلك قوله
وجعلناكم شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم
على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا
وذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول
الله متى وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد وعن
واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد
اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث
انس انا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس رض
انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عايشة عنه عليه السلم

قال

٦٢

قال اتاني جبريل عليه السلم فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها
فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله عليه وسلم ولم ار بني اب
افضل من بني هاشم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بالبراق
ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال جبرئيل بمحمد تفعل
هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه صلى الله عليه وسلم فارفض
عرقا وعن ابن عباس عنه عليه السلم لما خلق الله ادم اهبطني
في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة و
قذف بي في النار في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب
الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا
على سفاح قط ولهذا اشار العباس بقوله رضي الله عنه
من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حين يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من علياء خندف تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

وروى عنه عليه السلم ابو ذر وابو عمر وابن عباس وابو هريرة
وجابر بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا
لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي
الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلاة
فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس
كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي
سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع
من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود فقيل الاسود
العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر
العجم وقيل البيض وقيل السود من الامم وقيل الحمر الانس
والسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة رضي الله عنه نصرت
بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جئ بمفاتيح خزائن
الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه ختم بي النبيون وعن
عقبة بن عامر انه قال عليه السلام اني فرط لكم وانا شهيد
عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت
مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا
بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن

عمرو

عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد بن عبد الله
النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت
خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة
ومن رواية ابن وهب انه عليه السلام قال قال الله تعالى سل
يا محمد فقلت ما اسال يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت
موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمن ملكا لا ينبغي
لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك
اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف
السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا
لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها
وخبات لك شفاعتك ولم اخبها لنبي غيرك وفي حديث
اخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من
امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب
واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني العزة والنصر
والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي المغانم
واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل في الدين من حرج

وعن ابي هريرة عنه عليه السلام ما من نبي من الانبياء الا وقد
اعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت
وحيا اوحى الله الي فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى
هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات
الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزات القرآن
يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام
يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه اخر باب
المعجزات وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته
واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر
وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس
عن مكة الفيل (واسمه كان محمودا) وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لن تحل
لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم
النبيين وان ادم لمنجدل في طينته ودعوة ابي ابرهيم عم وبشارة
عيسى بن مريم عليهما السلام وعن ابن عباس قال ان الله فضل
محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات
الله عليهم اجمعين قالوا فما فضله على اهل السماء قال لان الله تعالى

قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال
لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا وقال فما فضله
على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه الاية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا وعن خلد بن معدان ان نفرا من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي
نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة
ابي ابرهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى
ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى
من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ
لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب
بيض وفي حديث اخر ثلثة رجال بطست من ذهب مملوة ثلجا
فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق
بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء
فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال
في حديث اخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من
نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة

ثم اعاد مكانه وامر الاخر به على مفرق صدري فالتأم
وفي رواية ان جبريل عليه السلم قال قلب وكيع اى شديد فيه
عينان تبصران واذنان تسمعان ثم قال احدهما لصاحبه زنه
بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من
من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني
بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها
قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما
بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من
الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك
على الله ان الله معك وملائكته قال في حديث ابى ذر فما
هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد
مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان ادم عند معصيته
قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي
فقال له الله تعالى من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع
في الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي
ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر
له وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات

فتاب

٦٥
فتاب عليه وفي رواية اخرى فقال ادم لما خلقتني رفعت راسي
الى عرشك واذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه
ليس احد اكرم عليك منه فتاب الله عليه وغفر له واوحى الله
اليه وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك
قال وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل ابي البشر ويروى عن سريج بن يونس
انه قال ان لله ملائكة سياحين في الارض عبادتها زيارة كل
دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى
ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول
الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته
كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر
كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا
وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا الله محمد عبدي
ورسولي وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب انني انا الله لا اله الا
انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة
القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري
انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جانبيه مكتوب

لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون
ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله
محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة
ينادى منادى الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة
اسمه عليه السلم وروى ابن القسم فى سماعه وابن وهب فى جامعه
عن ملك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه من اسمه
محمد الا نما ورزقوا وعنه عليه السلم ما ضر احدكم ان يكون فى بيته
محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب
العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه
وبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلنى
عليكم تفضيلا وفضل نسائى على نسائكم تفضيلا الحديث

فصل فى تفضيله صلى الله عليه وسلم بما تضمنته كرامة
الاسرى من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى
سدرة المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى ومن خصائصه
عليه السلم قصة الاسرى وما انطوت عليه من درجات الرفعة

مما ثبته

مما نبته عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله سبحانه
وتعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى الاية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات
ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين فى صحة الاسرى به عليه السلم
اذ هو نص القران وجاءت بتفصيله وشرح عجايبه وخواص
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا
ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضى
الشهيد ابو على والفقيه ابو بكر بسماعى عليهما والقاضى ابو عبد
الله التميمى وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذرى
حدثنا ابو العباس الرازى حدثنا ابو احمد الجلودى ثنا ابو العباس
الدارى ابن سفين ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن
سلمة ثنا ثابت البنانى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ثم اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار و
دون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت
بيت المقدس فربطته بالحلقة التى يربط بها الانبياء ثم دخلت
المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر
واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج

الى السماء قال فاستفتح جبريلُ فقيل من انت قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد بُعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
بآدم عليه السلام فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء
الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابنى
خالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلم فرحبا بى ودعوا
لى بخيرٍ ثم عُرِجَ بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا
فاذا انا بيوسف عليه السلم واذا هو قد اُعطى شَطر الحسن فرحب
بى ودعا لى بخير ثم عُرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا
انا بادريس فرحب بى ودعا لى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا
عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا
بهارُون فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة
فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بى ودعا بخير ثم عرج بنا الى
السماء السابعة فذكر مثلهَ فاذا انا بابرهيم مسندًا ظهره
الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك
لا يعودون اليه ثم ذهب بى الى السدرة المنتهى واذا ورقها
كاذان الفِيَلة واذا ثمرها كالقِلال قال فلما غشيها من امر الله

ماغشي

٦٧

ماغشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من
حسنها فاوحى الله الى ما اوحى وفرض على خمسين صلاة فى كل
يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت
خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فساله التخفيف فان امتك
لا يطيقون ذلك فانى قد بلوتُ بنى اسرائل قبلك وخبرتهم قال
فرجعت الى ربى فقلت يا رب خفف عن امتى فحط عنى خمسا فرجعت
الى موسى فقلت حط عنى خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك
فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربى تعالى
وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل
صلاة عشر فتلك خمسُون صلاة من هم بحسنة فلم يعملها كتبت
له حسنةٌ فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها
لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئةً واحدةً قال فنزلت حتى
انتهيت الى موسى عليه السلم فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربى
حتى استحييت منه قال القاضى رضى الله عنه جود ثابت رحمه
الله هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يات احد عنه باصوب من
هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية

شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله
بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال
شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسرى
ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت
قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من
رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشق قلبه تلك القصة
مشهورة مفردة من حديث الاسرى كما رواه الناس فجود في
القصتين وفي ان الاسرى الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى
كانت قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من
هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن
شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله
من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب مملو حكمة وايمانا
فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء
فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن
صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في

ترتيب

ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن انس اجود واتقن وقد
وقع في حديث الاسرى زيادات نذكر نكتا مفيدة في غرضنا منها في
في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالاخ الصالح والنبي
الصالح الا ادم وابرهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق
ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
وعن انس ثم انطلق بي حتى انتهيت الى سدرة المنتهى فغشيها الوان
لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة
فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال يا رب هذا غلام
بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر ما يدخل من امتي وفي حديث
ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلاة فاممتهم
فقال قائل منهم يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت
فبدأني بالسلام وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس
فنزل فربط فرسه الى الصخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة
قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله وخاتم النبيين
قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قال حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ
ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام
كل واحد منهم وهم ابرهيم وعيسى وداود وسليمن ثم ذكروا كلام



النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على
على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربي الحمد لله الذي ارسلني
رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي القران فيه
تبيان كل شيء وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون
وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري
وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه
عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي
حديث ابن مسعود وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء
السابعة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها
ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما
يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع من
انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك
خلا على سبيلك وهي سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء
غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين
عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة
قال فهو قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل

فقال

فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت
موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما وسخرت له الجبال
والنت له الحديد واعطيت سليمن ملكا عظيما وسخرت له الانس
والجن والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من
بعده وعلمت موسى التورية وعيسى الانجيل وجعلته يبرئ الاكمه
والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلا يكن له عليهما
سبيل فقال له ربه تبارك وتعالى قد اتخذتك حبيبا فهو
مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة
وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز
لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين
خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها
نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي
لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال
فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا اعطي الصلوات الخمس
واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من
امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما راى الاية راى جبريل في
صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه راى موسى في السابعة

قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله
فقال موسى لم اظن ان يرفع على احد وقد روى عن انس انه صلى الله عليه
وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس وعن انس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز
بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطاير فقعد في واحده وقعدت
في الاخرى فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمست السماء وانا
اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه جلس لاطئ فعلمت فضل علمه بالله
الله علي وفتح لي باب السماء ورايت النور الاعظم دوني الحجاب
وفوق الدر والياقوت ثم اوحى الله الي ما شاء ان يوحي وذكر البزار
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما اراد الله تعالى ان يعلم
رسوله الاذان جاء جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها
فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلم اسكني فوالله ما
ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى
اتى بها الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك
من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا
فقال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك
ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر

فقيل

فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك
اشهد ان لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله
لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا
من قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد
محمد صلى الله عليه وسلم فام اهل السما فيهم ادم ونوح قال ابو جعفر
محمد بن علي بن الحسين اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل
السموات والارض قال القاضي رضي الله عنه ما في هذا الحديث من
ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري
جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما يحيط بقدر محسوس ولكن حجبه
على ابصار خلقه وبصايرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء
ومتى شاء لقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا
الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب
حجب به من وراه من ملايكته عن الاطلاع عما دونه من سلطانه
وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث
قول جبريل عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رايته
منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات
ويدل عليه قول كعب في سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملايكة

وعندها يجدون امر الله لايجاوزها علمهم واما قوله الذي يلى الرحمن
فيحمل على حذف المضاف اى يلى عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته
او مبادى حقائق معارفه بما هو اعلم به كما قال تعالى واسال القرية
اى اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر
فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب كما
قال وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اى وهو
لايراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه
وسلم رأى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله
رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله تعالى اعلم فصل ثم اختلف
السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه او بجسده على ثلاث
مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام
مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحى والى هذا ذهب معوية
وحكى عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق
وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس وما حكوا عن
عايشة رضى الله عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله بينا انا نائم وقول انس وهو نائم فى المسجد الحرام وذكر القصة
ثم قال فى اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم

السلف

السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفى اليقظة وهذا هو
الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وابى هريرة وعمر
وملك بن صعصعة وابى حبه البدرى وابن مسعود والضحاك
وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد و
الحسن وابرهيم النخعى ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل
قول عايشة وهو قول الطبرى وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين
وهو قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة من المسجد
الحرام الى بيت المقدس والى السماء بالروح واحتجوا بقوله سبحانه
سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسرى الذى وقع التعجب فيه بعظيم
القدرة والتمدح بتشريف النبى محمد صلى الله عليه وسلم واظهار
الكرامة له بالاسراء اليه قال هولاء ولو كان الاسرى بجسده الى
زايد عن المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ فى المدح ثم اختلفت
هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام فى حديث انس وغيره
ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله
ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضى المصنف رحمه الله والحق من هذا

والصحيح ان شاء الله انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها
وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر
والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة وليس في الاسرى بجسده
ويقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده
وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان نياما لما كانت فيه معجزة واية
ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم
وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم
الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر
في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس في رواية
انس او في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق
وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول
محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه
في فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار
فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله فعرج بي حتى
ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة
المنتهى وانه دخل الجنة وراى فيها ما ذكره ابن عباس هي رؤيا
عين راها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه

بينا

بينا انا نائم بالحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار
شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي
فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هاني ما
اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيته تلك الليلة
صلى العشاء الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هاني لقد صليت
معكم العشاء الاخرة كما رايت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس
فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين انه
بجسمه وعن ابي بكر من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة
في مكانك فلم اجدك فاجاب ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي
في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلاث
وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل
على ظاهرها وعن ابي ذر عنه عليه السلام فرج سقف بيتي وانا
بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة
ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح

صدری وعن ابی هریرة لقد رأیتنی فی الحجر وقریش تسألنی عن مسرای
فسألنی عن اشیاء لم اُثبتها فکربت کرباً ماکربتُ مثله قط
فرفعه الله لی انظر الیه ونحوه عن جابر وقد روی عمر بن الخطاب
رضی الله عنه فی حدیث الاسری عنه علیه السلام انه قال ثم رجعت
الی خدیجة وما تحولت عن جانبها فصل فی ابطال حجج من قال انها
نوم احتجوا بقوله تعالی وما جعلنا الرؤیا التی اریناک فسماها رؤیا قلنا
قوله سبحان الذی اسری یرده لانه لا یقال للنائم فی النوم اسری وقوله
فتنة للناس یؤیدانها رؤیا عین واسری بشخص اذ لیس فی الحلم
فتنة ولا یکذب به احد لان کل احد یری مثل ذلک فی منامه من الکون
فی ساعة واحدة فی اقطار متباینة علی ان المفسرین قد اختلفوا فی
هذه الایة فذهب بعضهم الی انها نزلت فی قصة الحدیبیة وما وقع
فی نفوس الناس من ذلک وقیل غیر هذا واما قولهم انه قد سماها فی
الحدیث مناما وقوله فی حدیث اخر بین النائم والیقظان وقوله ایضا
وهو نائم وقوله ثم استیقظت فلا حجة فیه انه قد یحتمل ان اول وصول
الملک الیه کان وهو نائم او اول حمله والاسری به وهو نائم ولیس فی
الحدیث انه کان نائما فی القصة کلها الا ما یدل علیه ثم استیقظت
وانا فی المسجد الحرام فلعل قوله استیقظت بمعنی اصبحت او استیقظ ثم

من

بل عینیه بکبر معلق فی اية الاسرا فانه
مستقبل کما قاله القاضی

من نوم اخر بعد وصوله بیته ویدل علیه ان مسراه لم یکن طول اللیلة
وانما کان فی بعضه وقد یکون قوله استیقظت وانا فی المسجد الحرام
لما کان غمره من عجایب ما طالع من ملکوت السموات والارض وخامر
باطنه من مشاهدة الملاء الاعلی وما رأی من ایات ربه الکبری فلم
یستفق ویرجع الی الحال البشریة الا وهو بالمسجد الحرام ووجه
ثالث هو ان یکون نومه واستیقاظه حقیقة علی مقتضی لفظه ولکنه
اسری بجسده وقلبه حاضر ورؤیا الانبیاء حق تنام اعینهم ولا
تنام قلوبهم وقد قال بعض اصحاب الاخبار نحوا من هذا قال تغمض
عینیه لئلا یشغله شئ من المحسوسات عن الله ولا یصح هذا ان یکون فی
وقت صلاته بالانبیاء ولعله کانت له فی هذا الاسری حالات ووجه
رابع وهو ان یعبر بالنوم هاهنا عن هیئة النائم من الاضطجاع
ویقویه قوله فی روایة عبد بن حمید عن همام بینا انا نائم وربما قال مضطجع
وفی روایة هدبة عنه بینا انا فی الحطیم وربما قال فی الحجر مضطجع
وقوله فی الروایة الاخری بین النائم والیقظان فیکون سماه هیئته
بالنوم لما کانت هیئة النائم غالبا وذهب بعضهم الی ان هذه
الزیادات من النوم وذکر شق صدره ودنو الرب الواقعة فی هذا
الحدیث انما هی روایة شریک عن انس فهی منکرة من روایته اذ شق

البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه السلم وقبل
النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسرى بالاجماع
كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا
قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي
صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن ملك بن صعصعة وفي كتاب
مسلم لعله عن ملك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر
يحدث واما قول عايشة ما فقدت جسده فعايشة لم تحدث به عن
مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجه عليه السلم ولا في سن من
يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسرى متى كان
فان الاسرى كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد
المبعث بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام
وقد قيل كان الاسرى لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه
انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد
ذلك عايشة بل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على
خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام هاني
وغيرها وايضا فليس حديث عايشة بالثابت والاحاديث الاخرى
ثبتت ولسنا نعني حديث ام هاني وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد

روى

روى في حديث عايشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه
وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها
انه بجسده لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها
مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى
فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة
عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف
الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى
اى لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر
قلبه ما رأته عينه فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه
عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة حدثنا ابو الحسين سراج
ابن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه حدثني ابي وابو عبد الله ابن
عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو الفضل
الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده ثنا عبد الله بن
علي ثنا محمود بن ادم ثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال
لعايشة يا ام المؤمنين هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقالت لقد قف
شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا
راى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الاية وذكر

الحديث وقال جماعة بقول عايشة وهو المشهور عن ابن مسعود
ومثله عن ابي هريرة انه انما راى جبريل واختلف عنه وقال بانكار
هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين
وعن ابن عباس انه راه بعينه وروى عطاء عنه راه بقلبه وعن ابي
العالية عنه راه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل
الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه راى
ربه بعينه روى عنه ذلك من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام
وابرهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله ما كذب الفؤاد ما راى
افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان
الله قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى فراه محمد مرتين وكلمه موسى
مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن
كعب وروى عبد الله بن الحرث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال
ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى ربه مرتين فكبر
كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين
موسى ومحمد فكلمه موسى وراه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي ذر
في تفسير الاية قال راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي
عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل

هل

هل رايت ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك بن
يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر
كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق
ان الحسن كان يحلف بالله ان محمدا رأى ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي
عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى
ابن اسحق ان مروان سال ابا هريرة هل راى محمد ربه فقال نعم وحكى
النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه راه
حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه
بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن
جبير لا اقول راه ولا لم يره وقد اختلف في تاويل الاية عن ابن عباس
وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة
راه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود راى جبريل وحكى عبد الله
ابن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال راه وعن ابن عطا في قوله الم نشرح لك
صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام
وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من
اصحابه انه رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال كل اية اوتيها نبي من
الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا وخص من بينهم

بتفصيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل
واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو الفضل رحمه الله والحق
الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في
العقل ما يحيلها والدليل على جوازه في الدنيا سؤال موسى عليه السلم
لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز بل لم يسال الا جائزا
غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من
علمه الله فقال الله تعالى لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب
له مثلا مما هو اقوى بنية من موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس
فيه يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها وكل موجود في الجملة فرؤيته جائزة
غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار اي لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد
قيل لا تدركه الابصار وانما تدركه المبصرون وكل هذه التاويلات
لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن
تراني الاية وقوله تبت اليك لما قدمنا ولانها ليست على العموم ولان
من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس فيه
نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التاويلات

وتتسلط

وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك
اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني
اي ليس لبشر ان ينظر الي في الدنيا وان من نظر الي مات وقد رايت
لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى ممتنعة لضعف
تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونهم متغيرة غرضا للآفات والفناء
فلم يكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا
ابصارا باقية راى الباقي بالباقي وهذا الكلام حسن مليح وليس فيه
دليل على استحالة الرؤية الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله
من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرسالة لم يمتنع في حقه
وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلم ونفوذ ادراكهما
بقوة الالهية منحا لادراك ما ادركاه ورؤية ما راياه والله اعلم
وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الايتين ما معنى
ان موسى عليه السلم راى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل راى ربه
فصار دكا بادراك خلقه الله له واستنبط والله اعلم من قوله ولكن
انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه
للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل ظهوره حتى راه
على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلا ولولا

تراكيب

ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى رآه وقد
وقع لبعض المفسرين في الجبل انه رآه وبرؤيته الجبل له استدل من
قال برؤية محمد نبينا له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز
لنبينا اذ ليس في الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا والقول
بانه راه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتي
النجم والتنازع فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع
متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس
خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب
العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية وحديث
معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابي
ذر الاخر مختلف محتمل مشكل فروى نور انى اراه وحكى بعض مشايخنا
انه روى نورانى اراه وفي حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا و
ليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما على صحة الرؤية فان كان الصحيح
رايت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما راى نورا منعه وحجبه
عن رؤية الله تعالى والى هذا يرجع قوله نور انى اراه اى كيف اراه
مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الاخر
حجابه النور وفي الحديث الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين

وتلا

وتلا ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في
القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في الباب
اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده
والله الموفق فصل واما ما ورد في هذه القصة من مناجاة الله
وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته
الاحاديث فاكثر المفسرين ان الموحى الى جبريل الله وجبريل الى محمد الا
شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة
ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في
الاسرى وحكى عن الشعبي وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره
اخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسرى عنه عليه السلم
في قوله فدنى فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت
كلام ربي وهو يقول ليهدا روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث
انس في الاسرى نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء فقالوا هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكلم موسى وبارسال
الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم
الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع



المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله عليه
وسلم بلا واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسرى
ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الاية
فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق
عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجي
الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبه
وفي اول فصل في الباب منه وكلام الله له ومن اختصه من انبيائه
جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك
خبر احتمل عليه وكلامه تعالى لموسى كائن حق مقطوع به نص ذلك
في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ووقع مكانه على ما ورد
في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمد فوق هذا
كله حتى بلغ مستوى وسمع فيه صريف الاقلام فكيف يستحيل في
حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء
وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل واما ما ورد في حديث
الاسرى وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى فكان
قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين
محمد وجبريل عليهما السلم او مختص باحدهما من الاخر او من السدرة

المنتهى

المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنى فتدلى من ربه
وقيل معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد
اي قرب وحكى المكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنى من محمد
فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنى من
عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان
يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر
تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع
فدنى من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت
كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا
الجبار رب العزة وتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه
بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسرا وعن محمد بن
كعب هو محمد صلى الله عليه وسلم دنى محمد صلى الله عليه وسلم من ربه فكان
قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد اداناه ربه منه حتى كان منه
كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد
بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب
جبريل عن دنوه ودنى محمد صلى الله عليه وسلم الى ما اودع قلبه من المعرفة
والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو
والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما
ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم
من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق
انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة
وتأنيس وبسط واكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل
ربنا الى السماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول
احسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة
بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته اذ لا
دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا
على الله تعالى لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف
المحل واتضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه
وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي
وانافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى له ويتأول فيه ما يتأول فيه
في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي
اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل
المأمول فصل في ذكر تفضيله في القيمة بخصوص الكرامة

حدثنا

حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا ثنا ابو يعلى
ثنا السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي عن
عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس عن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم
اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على
ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم
اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء
الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وعن ابي هريرة واكسى
حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق
يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد
ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق
عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة عنه عليه السلام انا سيد
ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق عنه القبر واول شافع واول
مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا
اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي

فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين
ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس
تبعا وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم
القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث
الشفاعة وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه عليه السلم قال اطمع ان
اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة وفي حديث اخر ما ترضون
ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في امتي يوم
القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك
يعني الاعتقاد والعمل
واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى
اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس يوم
القيمة هو سيد في الدنيا وفي القيمة ولكن اشار عليه السلم لانفراده
فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجأ الناس اليه في ذلك فلم
يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجاء الناس اليه في حوايجهم فكان
حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا
ادعاه كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك
له تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين
كذلك في الدنيا وكذلك لجاء الى محمد جميع الناس في الشفاعة فكان

سيدهم

٦ سيدهم في الاخرة دون دعوى وعن انس قال رسول الله عليه
وسلم اتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول
محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء
وماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السما
من شرب منه لم يظما ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان
وايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما
من ذهب والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة
وصنعاء وقال انس صنعاء وايلة وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر
الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة ابن عمر وعقبة
ابن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي و
حذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن
زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله
الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب وعايشة واسما بنت ابي بكر
وابو بكرة وخولة بن قيس وغيرهم فصل في تفضيله بالمحبة والخلة
جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على السنة
المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القسم بن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة

ابنت محمد ثنا ابو القسم ثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا
عبد الله بن محمد ثنا ابن عامر ثنا فليح ثنا ابو النضر عن بشر بن سعيد
عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا
خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث اخر وان صاحبكم خليل الله
ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن
ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه
قال فخرج حتى دنى منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال
بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا وقال آخر ماذا باعجب
من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال
آدم اصطفاه فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله
اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجا الله وهو كذلك وادم
اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء
الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا
فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في
التورية انت حبيب الرحمن قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اختلف في

تفسير

81

تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله ليس في
انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا
القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابرهيم
خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما
لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة
وهي الحاجة فسمي بها ابرهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه
بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في
النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة
صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم
اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع
وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن
ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا
يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من النبوة لان النبوة قد تكون
فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا
يصلح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابرهيم ومحمد صلوات الله
عليهما بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه
والانقطاع عمن دونه والاضطراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة

الاختصاص منه تعالى لهما وخفي اللطائف عندهما وما خالل بواطنهما
من الاسرار الالهية ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما
واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يتخللهما الغير ولهذا قال
بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه
السلام ولو كنت متخذا خليلاً لاتخذت ابا بكر خليلاً لكن اخوة الاسلام
واختلف العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة
المحبة فجعلها بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلاً ولا الخليل
الا حبيباً لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمداً بالمحبة وبعضهم قال درجة
الخلة ارفع واحتج بقوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلاً غير ربي
فلم يتخذه وقد اطلق المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها واسامة
وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا
صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة الخليل عليه السلام واصل المحبة
الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع
بالوفق وهو درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض
فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب
القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى
يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته
قدي

٨٢
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق
به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله
والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله والاخلاص لله كما قالت
عايشة كان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه ومن
هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله. قد تخللت مسلك الروح مني.
وبذا سمي الخليل خليلا. فاذا ما نطقت كنت حديثي. واذا ما سكت
كنت الغليلا. فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا
عليه السلام بما دلت عليه الاثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة با
لقبول عن الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان
نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما
على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم
بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم عن التولي عنه بقوله فان الله
لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين
كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشارته الى تفضيل مقام
المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم
الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض

والجبيب يصل لحبيبه بر من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل
الخليل الذي تكون معرفته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تأخر الاية والخليل قال لا تخزني والحبيب قيل له
يوم لا يخزي الله النبي فابتدأ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في
المحبة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل
قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك
اعطى بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب
قال له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذه المعاني من تفضيل المقامات
والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ؞

مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين صح

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الجياني فيما كتبه
الي بخطه ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد
وابو احمد قالا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا اسمعيل بن
ابان ثنا ابو الاحوص عن ادم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس
يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع
لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم

فذلك

٨٢

فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا فقال هي الشفاعة وعن كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر
الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني حلة خضراء ثم
يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر
وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ
يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلم
انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقوم غيره يغبطه فيه الاولون
والاخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع
لامتي فيه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى
الحديث وعن ابي موسى عنه صلى الله عليه وسلم خيرت بين ان يدخل نصف
امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين
لا ولكنها للمذنبين الخاطئين وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك
في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق
لسانه قلبه وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق

من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يؤتيني شفاعة يوم
القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد
حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا
لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك والخير
في يديك والشر ليس اليك والمهتدى من هديت وعبدك بين يديك
ولك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت
سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله وقال
ابن عباس اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فتبقى آخر زمرة
من الجنة وآخر زمرة من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم
ايمانكم فيدعون ربهم فيضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسالون آدم
وغيره بعد في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا عليه السلم فيشفع
لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره
علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله
ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعني الذي يبعثه
الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج
يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس
نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وعن سلمان المقام المحمود

هو الشفاعة في امته يوم القيمة ومثله عن ابي هريرة وقال قتادة
رضي الله عنه كان اهل العلم يرون المقام المحمود شفاعته يوم القيمة
وعلى ان المقام المحمود هو مقامه عليه السلم في الشفاعة مذاهب
السلف والصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين وبذلك جاءت
مفسرة في صحيح الاخبار عنه عليه السلام وجاءت مقالة في تفسيرها
شاذة عن بعض السلف يجب ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا
سديد نظر ولو صحت لكان لها تاويل غير مستنكر لكن ما فسره النبي
صلى الله عليه وسلم في صحاح الاثار يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع
انه لم ياءت في كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقال به امة وفي اطلاق
ظاهره منكر من القول وشنعة وفي روايات انس وابي هريرة وغيرهما
دخل بعضهم في بعض قال عليه السلام يجمع الله الاولين والاخرين
يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى
ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة وتدنوا
الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون
الا تنظرون من يشفع لكم فياتون آدم فيقولون زاد بعضهم انت يا ادم
ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته
واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شي اشفع لنا عند ربك حتى

يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربى غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهانى عن
الشجرة فعصيت نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح
فيأتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله
عبدا شكورا الا ترى الى نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا الا تشفع لنا
الى ربك فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله نفسى نفسى قال فى رواية انس ويذكر خطيئته
التى اصاب سؤاله ربه بغير علم وفى رواية ابى هريرة وقد كانت لى دعوة
دعوتها على قومى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل الله
فيأتون ابرهيم فيقولون انت نبى الله وخليله من اهل الارض
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما قد بلغنا فيقول ان ربى قد غضب اليوم
غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كذبات كلمات كذبهن نفسى نفسى لست لها
ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفى رواية فانه عبد الله آتاه الله
التورية وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست لها
ويذكر خطيئته التى اصاب وقتله النفس نفسى نفسى ولكن عليكم
بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى عليه السلام فيقول لست
لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

فاوتى

فاوتى فاقول انا لها فانطلق فاستاذن على ربى فيوذن لى فاذا
رأيته فاقع ساجدا وفى رواية فآتى تحت العرش فاخر ساجدا وفى رواية
فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الا ان يلهمنيها الله وفى الا
رواية فيفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه
على احد قبلى قال فى رواية ابى هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك وسل
تعطه واشفع تشفع فارفع راسى فاقول يارب امتى يارب امتى فيقول
ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم
شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر فى رواية انس
هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع
رأسك وقل يسمع واشفع تشفع واسأل تعطه فاقول يارب امتى
امتى فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة
من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربى فاحمده بتلك المحامد
وذكر الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر
مثل ما تقدم وقال فيه من كان فى قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة
من خردل فافعل وذكر فى المرة الرابعة فيقال لى ارفع راسك
وقل يسمع واشفع تشفع واسأل تعطه فاقول يارب ائذن لى فيمن قال
لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى

وجبريائى لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة
عنه قال ولا ادرى فى الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقى فى
النار الا من حبسه القران اى وجب عليه الخلود وعن ابى بكر و
عقبة بن عامر وابى سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن
له وتأتى الامانة والرحم فيقومان جنبتى الصراط وذكر فى رواية ابى
ملك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع ويضرب الصراط فيمرون اولهم
كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم
على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جوازا
الحديث وفى رواية ابى هريرة فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس عنه
عليه السلم يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبرى لا
اجلس عليه قائما بين يدى ربى منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى
ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم
فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة
بشفاعتى ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى
النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك فى امتك
من نقمة ومن طريق زياد النميرى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم

القيمة ولا فخر ومعى لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من تنفتح له ولا
فخر فاتى فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لى فيستقبلنى
الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة
لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه
الاثار ان شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من اول الشفاعات
الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر ويضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم
العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ
لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء
فى الحديث عن ابى هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن فيشفع فى
تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم فى الحديث ثم
يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما يقتضيه
الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله
عليه وسلم وفى الحديث المنتشر الصحيح لكل نبى دعوة يدعو بها
واختبات دعوتى شفاعة لامتى يوم القيمة قال العلم معناه دعوة
اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبى
منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد

لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم
اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال
محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة
دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر دعوتي شفاعة
لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة
فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن
انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة
مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم
انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع
بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم
السؤل والرغبة جزاه الله احسن ما جزى نبيا عن امته

فصل

في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام
بن احمد بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو علي الغساني ثنا النمري ثنا ابن
عبد المؤمن ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن
وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة
عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا
الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من
عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت
عليه الشفاعة وفي حديث اخر عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة
في الجنة وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير
في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا
قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله ثم ضرب بيده الى طينه فاستخرج
مسكا وعن عايشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر
والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج ونحوه عن ابن عباس
وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه
امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا
قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر
الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله وعن حذيفة فيما ذكر عليه
السلام عن ربه واعطاني الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضي
وعن ابن عباس في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من
لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي لهن

من الازواج والخدم فصل فان قلت اذا تقرر من دليل القران
وصحيح الاثر واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى
الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدى
ثنا السمرقندي ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا ابن سفين ثنا مسلم
ثنا ابن المثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية
يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس
ابن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني رسول الله عليه السلم
ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي قال
والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول
ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى
الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية لا تخيروني
على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس
ابن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب
وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه
الاخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذلك ابرهيم فاعلم ان
للعلماء في هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل

كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج
الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا
اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر
كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم على
طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض
الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يودي الى تنقص بعضهم
او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه
عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة و
انحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك
المشحون فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته
بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبيا
فيهما على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل
في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف
واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زايدة
عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم من الرسل ومنهم
من رفع مكانا عليا ومن اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبر
وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات

قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال بعض اهل العلم و
التفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال احدها ان
تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او
يكون في ذاته افضل واطهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه
الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او روية او ما شاء
الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روى ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع
فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنه من اوهام من يسبق اليه
بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن
في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على
هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه
اى لا يظن احد وان بلغ من الذكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه
خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلا
وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردلة ولا ادنى وسنزيد
في القسم الثالث من هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان لك
العرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل في اسمائه عليه السلم

وما

وما تضمنته من فضيلته اخبرنا ابو عمران موسى بن ابى تليد الفقيه
ثنا الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن وضاح
ثنا يحيى ثنا ملك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا
احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر
الناس على قدمى وانا العاقب وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا واحمد
فمن خصايصه تعالى له ان ضمن اسماه ثناه وطوى اثناء ذكره عظيم
شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل
مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل
من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين
ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويتشهر في تلك
العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده
يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه من
المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى امته في كتب
الانبياء بالحمادين فحقيق ان يسمى احمد ومحمدا ثم في هذين الاسمين
من عجايب خصايصه وبدايع اياته فن اخر وهو ان الله جل اسمه حمى ان
يسمى بهما قبل زمانه اما احمد الذى اتى في الكتب وبشرت به الانبيا
احد

فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو
قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد
ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبل وجوده
عليه السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من
العرب اولادهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث
يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى ومحمد بن مسلمة
الانصارى ومحمد بن براء البكرى ومحمد بن سفين بن مجاشع
ومحمد بن حمران الجعفى ومحمد بن خزاعى السلمى لا سابع لهم ويقال
اول من تسمى محمد بن سفين واليمن بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل
من تسمى به ان يدعى النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب
يشكك احدا فى امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم
ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر
ففسر فى الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب
وما زوى له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو
عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله و
قوله وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى اى على زمانى وعهدى
اى ليس بعدى نبى كما قال وخاتم النبيين وسمى عاقبا لانه عقب

غيره من الانبياء وقيل معنى على قدمى اى يحشر الناس بمشاهدتى
كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا ومعنى قوله لى خمسة اسماء قيل انها موجودة فى الكتب
المتقدمة وعند اولى العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روى عنه
عليه السلام لى عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكى وقد
قيل فى بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادى وفى يس يا سيد حكاه
السلمى عن الواسطى وجعفر بن محمد وذكر غيره لى عشرة اسماء فذكر
الخمسة التى فى الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الملاحم
وانا المقفى قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته
ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربى وهو
اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا فى كتب الانبياء قال داود اللهم
ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه
وروى النقاش عنه عليه السلام لى فى القران سبعة اسماء محمد و
احمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفى حديث عن جبير بن
مطعم هى ست محمد واحمد وحاشر وعاقب وخاتم وماحى وفى حديث
ابى موسى الاشعرى انه كان عليه السلام يسمى لنا نفسه اسماء يقول انا
محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة ونبى الملحمة ويروى المرحمة

ق وقيل على قدمى على سابقتى قال الله تعالى
ان لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمى
اى قدامى وحولى يجتمعون الى فى القيمة
وقيل قدمى سنتى صح صح

والرحمة والراحه وكل صحيح ان شاء الله ومعنى المقفى معنى العاقب
واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال
في صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر
وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام ربه
تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا
لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها صلى الله عليه
وسلم بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال
صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض
يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به
من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة
مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم
وروى الحربي في حديثه عليه السلام انه قال اتاني ملك فقال لي انت
قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته
عليه السلام معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته عليه
السلام في القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير

والمنذر

٦١

والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق
المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق
ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم
الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات
جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث
رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسمية المصطفى والمجتبى وابي
القاسم الحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي و
المصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد
ولد ادم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب
الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود
وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج و
المعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب
الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة و
النعلين ومن اسمائه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة و
المقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال
ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب
السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم

حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم الذى ختم الانبياء والخاتم
احسن الانبياء خلقا وخلقا وتسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا و
اسمه ايضا فى التورية احيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب
القضيب اى السيف وقع ذلك مفسرا فى الانجيل قال معه قضيب
من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق
الذى كان يمسكه عليه وهو الآن عند الخلفاء واما الهراوة
التى وصف بها فهى فى اللغة العصا واراها والله اعلم العصا
المذكورة فى حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن
واما التاج فالمراد به العمامة ولم يكن حينئذ الا للعرب والعمايم تيجان
العرب واوصافه والقابه وسماته فى الكتب كثيرة وفيما ذكرنا منها
مقنع ان شاء الله فصل فى تشريف الله تعالى له بما سماه به
من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضى ابو
الفضل بفصول ما اجرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه
فى سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله
الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره
والتقاطه الا عند الخوض فى الفصل الذى قبله فراينا ان نضيفه
اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة

خلعها

62

خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحق واسمعيل ويعقوب وحكيم
بعليم وابرهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى
بكريم وقوى ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق
الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز فى مواضع ذكرهم وفضل نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها بجملة فى كتابه العزيز وعلى السنة
انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها عدة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر
اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين
وحررنا منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى
ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره الآن ويفتح غلقه فمن
اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده
ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبى صلى الله
عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه فى زبور داود
واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بن
ثابت بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه
فى كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى
الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اى المبين

امره والالهيته بان وابان بمعنى واحد ويكون بمعنى المبين لعباده
امر دينهم ومعادهم وسمى النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فى
كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول [الداعى الى التوحيد] مبين [المبين] وقال وقل انى انا النذير
المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
قيل محمد وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه
وامره وهو بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله
تعالى ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى
النور ومعناه ذو النور اى خالقه او منور السموات والارض با
الانوار ومنور قلوب المومنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القران وقال فيه وسراجا
منيرا سمى بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين
والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل
الشاهد على [عباده] امته يوم القيمة وسماه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك
شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن
اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو
وقيل العلى وفى الحديث المروى فى اسمائه تعالى الاكرم وسماه الله
تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال

عليه السلام انا اكرم ولد ادم ومعانى الاسم صحيحة فى حقه عليه السلم
ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذى كل شىء دونه
وقال فى النبى صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع فى
اول سفر من التورية عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو
عظيم وعلى خلق عظيم صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى الجبار و
معناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلى العظيم الشان وقيل المتكبر و
سمى النبى صلى الله عليه وسلم فى كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها
الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه
فى حق النبى صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم
او لقهره اعداه او لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره [قدره] ونفى عنه تعالى
فى القران جبرية التكبر الذى لا يليق به فقال وما انت عليهم بجبار [بمتكبر]
ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشىء العالم بحقيقته
وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن فسئل به خبيرا قال القاضى
بكر بن العلاء المامور بالسوال غير النبى صلى الله عليه وسلم والمسئول
الخبير هو النبى صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبى صلى الله
عليه وسلم والمسئول الله تعالى فالنبى صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين
المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون

علمه وعظيم معرفته مخبرا الامته بما اذن لهم في اعلامهم به
ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب
الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وابصارهم
لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر [illegible] معناه مبتدئ الفتح
والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث
الاسرى الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي
هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول
النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع
لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او
الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان
بالله او الناصر للحق او المبتدئ بهداية الامة او المبتدئ المقدم في
الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول الانبياء في
الخلق واخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه
المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك
نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا

اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في
الزيادة من قوله لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم
والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم
وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون وقال تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة
الاية ومن اسمائه تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق للاشياء
قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر
وقال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث
وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح فقدم ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الاخرون السابقون وقوله انا
اول من تنشق الارض عنه عليه السلام واول من يدخل الجنة واول
شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين واخر الرسل ومن اسمائه تعالى
القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك
فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن
اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه
عليه السلام بالصادق المصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى

ومعناهما الناصر وقد قال تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه
السلام انا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين وقال عليه
السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه
الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في
القران والتورية وامره بالعفو وقال خذ العفو وقال فاعف عنهم
واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن قوله خذ العفو فقال فاعف
عنهم واصفح قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التورية والانجيل في
الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولكن
يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد
من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار
السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل
وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى
الله عليه وسلم وقال تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال
تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه والله تعالى مختص بالمعنى الاول وقال
تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى
الدلالة ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما
بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعن عباده المصدق

قوله

قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين وقيل الموحد نفسه وقيل
المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين من عذابه في الاخرة
وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقيل ان قولهم
في الدعاء امين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل
المهيمن الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن
ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه
السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس
مهيمنا في شعره في قوله ثم اغتدى بيتك المهيمن من خندف علياء
وتحتها النطق وقيل المراد بها المهيمن قاله القتيبي والامام
ابو القسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق
وقال صلى الله عليه وسلم انا امنة لاصحابي فهذا معنى المؤمن ومن
اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات
الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر به من الذنوب ومنه
الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبياء في اسمائه عليه
السلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر من الذنوب ويتنزه باتباعه
عنها كما قال ويزكيهم ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون

مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية
ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له
او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اى الامتناع وجلالة
القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال تعالى
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى
وبكلمة منه وسمى الله تعالى مبشرا ونذيرا او بشيرا اى مبشرا لاهل
طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى ما ذكره بعض
المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم **فصل** قال القاضي ابو الفضل
وفقه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا
القسم وازيح بها هذا الاشكال فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم
الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبهة التمويه وهو
ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه
وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما
اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى
الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى
لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم

وبشيرا

لا تنفك

٦٦

لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل
بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله ليس كمثله شيء ولله در من قال
من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة
للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله
بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل
ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة
ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة
وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد
فسر الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيد بيانا فقال
هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته
ذات المحدثات وهي بذاتها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل
الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض
وجد ولا بمباشرة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه
وقال اخر من مشايخنا رحمه الله ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه
بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من
اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي
المحض فهو معطل ومن قطع بموجود اعترف بالعجز عن دركه حقيقته

فهو موحد وما احسن قول ذى النون المصرى حقيقة التوحيد
ان تعلم ان قدرة الله تعالى فى الاشياء بلا علاج وصنعه لها
بلا مزاج وعلة كل شىء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور فى وهمك
فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير
لقوله ليس كمثله شىء والثانى تفسير لقوله لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشىء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه
وجنبنا طرفى الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات

قال القاضى ابو الفضل حسب المتامل
المحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن فى معجزاته
فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل
المطاعن اليها وتذكر شروط المعجز والتحدى وحده وفساد قول من
ابطل نسخ الشرائع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته
المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا فى محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت فى هذا الباب امهات معجزاته
ومشاهير اياته لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق

والصحيح

والمصحح والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها
بعض ما وقع فى مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف ما
قدمناه من جميل اثره وجميل سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله و
حلمه وجملة كماله وجميع خصاله ومشاهد حاله وصواب مقاله
لم يمتر فى صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد فى اسلامه
والايمان به فروينا عن الترمذى وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان
عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
جيته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه
كذاب حدثنا به القاضى الشهيد ابو على رحمه الله ثنا ابو الحسين الصيرفى
وابو الفضل بن خيرون عن ابى يعلى البغدادى عن ابى على السنجى
عن ابن محبوب عن الترمذى حدثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفى و
محمد بن جعفر وابن ابى عدى ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابى جميلة
الاعرابى عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابى رمثة
التيمى قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعى ابن لى فاريته
قلت هذا نبى الله والله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه
فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده
الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله

وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد على كلماتك هؤلاء
فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان
رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا
من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري
من هو ومعنا ضعينة فقالت انا ضامنة بثمن البعير رايت وجه رجل
مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكالوا
حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني
على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شيء
الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد
وينجز الموعود واشهد انه نبي وقال نفطوية في قوله تعالى
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وهذا مثل ضربه الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم
يتل قرانا كما قال ابن رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة لكان منظره
ينبئك بالخبر وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده

في معجزة القران ومافيه من برهان ودلالة **فصل** اعلم ان الله
تعالى قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه و
صفاته وجميع تكليفاته ابتداءً ودون واسطة لو شاء كما حكي عن
سنته في بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك
بواسطة يبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر
كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع
لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما
دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا
به لان المعجز مع التحدي قائم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه
واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه
خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات
ائمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النباء وهو
الخبر وقد لا يهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه
على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول او هو
يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه على غيبه فعيل
بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمز من النبوة وهو ما ارتفع من الارض

معناه ان له رتبه شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فان
لو صفا في حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول
بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله بالابلاغ الى من
ارسله الله واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا
اذا تبع بعضهم بعضا فكان الزم تكرير التبليغ والزمت الامة اتباعه
واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء
واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما مع الارسال قال ولا
يكون الرسول الا نبيا ولا يكون النبي الا رسولا وقيل هما مفترقان
من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام
بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا
في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا
وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا
واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا
من رسول من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان
الرسول من جاء بشرع مبتداء ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر
بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجم الغفير ان كل رسول

نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل آدم واخرهم محمد صلى الله عليه
وسلم وفي حديث ابي ذر عنه ان الانبياء مائة الف واربعة و
عشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر اولهم
ادم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليست عند المحققين
ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل
ليس عليه تعويل **واما الوحي** فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقى
ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواعات الالهامات وحيا
تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه
ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى واوحى
اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اومى ورمز وقيل كتب ومنه قولهم
ومعناه العجلة والاسراع وهو منصوب بفعل مقدر على الاغراء
الوحاء الوحاء اي السرعة السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفا
ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى
اولياءهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى واوحينا
الى ام موسى اي القى في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة ∴
فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة ان الخلق
عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر

مطلب معنى الوحي على انواع

فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه صلى الله عليه
وسلم كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران
على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا
على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة
من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الاصابع وانشقاق القمر مما لا
يمكن ان يفعله احد الا الله فكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى
وتحديه من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي ظهرت
على نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين
النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا
كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو
القران لا يحصى عدده معجزات بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي
صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم
واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها
وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى
عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم
منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقران فلا مرية فيه ولا خلاف
بمجي النبي به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا

معاند

معاند جاحد فهو كانكار وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا
وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه
من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما
سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى
على يديه عليه السلام ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ منها واحدا
معين القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه
ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجايب وانما خلاف
المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله وان
ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا
صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود
حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل
واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر
بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ
مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه
العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار
كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به
الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره

لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا فى المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما
قدمنا قال القاضى ابو الفضل وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من
هذه الايات المأثورة عنه عليه السلم معلومة بالقطع اما
انشقاق القمر فالقران نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا نعدل عن
ظاهره الا بدليل وجاء برفع احتماله بصحيح الاخبار من طرق كثيرة
فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى
سخافة مبتدع يلقى الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل يرغم بهذا
انفه وينبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام
رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير
من الصحابة منها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث
بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان فى موطن اجتماع
الكثير منهم فى يوم الخندق وفى غزوة بواط وعمرة الحديبية
وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر
عن احد من الصحابة مخالفة للراوى فيما حكاه ولا انكار عما ذكر
عنه انهم رووه كما رواه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق
اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة فى كذب
وليس هنالك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا

عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض
اشياء رواها من السنن والسير وحروف القران وخطأ بعضهم
بعضا ووهمه فى ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعى
من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التى لا اصل لها وبنيت
على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث من
انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد فى كثير من الاخبار
الكاذبة والاراجيف الطارية واعلام نبينا هذه الواردة من طريق
الاحاد لا تزداد مع مرور الازمان الا ظهورا ومع تداول الفرق
وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها و
اجهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها الا
حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان
معلوما من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد
قال به من ائمتنا القاضى والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهما الله
وما عندى اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب
خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من
المعارف والا فمن اعتنى بطريق النقل وطالع الاحاديث والسير
لم يرتب فى صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذى ذكرناه

ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فانّ
اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة
عظيمة ودار الامامة والامارة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون
اسمها فضلاً عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك با
لضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القران
في الصلاة للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة من شهر
رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار
في المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد
وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا
حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم
ولا رأى اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عن سواه
وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى

في بيان الوجوه التي بسببها ظهر كون القران معجزا

فصل في اعجاز القران اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز
منطوٍ على وجوه من الاعجاز الكثيرة وتحصيلها من جهة ضبط
انواعها في اربعة وجوه **اولها** حسن تاليفه والتيام كلماته وفصاحته
ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا
ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحِكَم

بما لم يخص

بما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت
انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا
وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون
به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون
به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون
ويرفعون ويضعون ويأتون ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من
اوصافهم اجمل من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون
الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرّون الجبان و
يبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه
خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام
الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة
البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل و
التصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية
وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة و
القدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم و
البلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا
من كل باب ابوابها وعلوا صرحا البلوغ اسبابها فقالوا في الخطير

والمهيمن وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر
وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت
اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته
على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وظهرت حقيقته ومجازه و
تبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه و
بدايعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوايده
ما اختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واجهر في
الخطاب رجالا واكثر في السجع والشعر سجالا واوسع في الغريب
واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عليها
يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين
عاما على رؤس الملاء اجمعين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في
ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله وان لم تفعلوا
قل لان اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران الاية وقل فاتوا
بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل
والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب

وهذا

ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللاول على الثاني
فضل وبينهما شاو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم
اشد تقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم
ويشتت نظامهم ويذم الهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم
وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون
انفسهم بالتشغيب والتكذيب والاغتراء بالافتراء وقولهم ان هذا
الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة
والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي
اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب لا تسمعوا لهذا القران والغوا
فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل
هذا وقد قال الله لهم ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطا
ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله
ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس
من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا
مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة
من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية قال والله
ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر

ارحسنا وبترة

ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيدة ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ
فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا
يقراء فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر
على مثل هذا الكلام وحكى ان عمر بن الخطاب كان يوما نائما في
المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره
فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه
سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ اية من كتابكم فتاملتها فاذا قد
جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله
تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية فاولئك هم الفائزون وحكى الاصمعي
انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا
فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية
فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع
من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح
من القولين وكون القران من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم
ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب
عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة
معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل

من

من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته
واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم
في القصاص حياة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من
مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية
وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم
الاية واشباهها من الاي بل اكثر القران حققت ما بينته من ايجاز
الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها
وتلاوم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة
وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها و
كثرت المقالات المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال
واخبار القرون السوالف التي تضعف في عادة الفصحاء عندها
الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتامله من ربط الكلام بعضه
ببعض والتيام سرده وتناصف وجوه كقصة يوسف على طولها
ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها
حتى يكاد كل واحد تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه
مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترددها ولا معاداة لمعادها

فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب
الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها
الذي جاء عليه ووقفت مقاطع اية وانتهت فواصل كلماته اليه
ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء
منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا
الى مثله في جنس كلام من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما
سمع كلامه صلى الله عليه الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القران
رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه فقال والله ما منكم احد اعلم
بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره
الاخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب
ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن
فقال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال
ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما
هو بشاعر قد عرفنا الشعر رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه
ومقبوضه ما هو بشاعر قال فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا
نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا
الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق

بين

بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته
فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في
الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعة
حين سمع القران يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته
وقراته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو
بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث
اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر
من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم و
انه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم
قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت
قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم
يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم
لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد
من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته
كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان
بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها
وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدين

الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول
تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا
كله ضرورة وقطعا ومن تفنن فى علوم البلاغة وارهف خاطره
ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف
ائمة اهل السنة فى وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع فى
قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه
واسلوبه لا يصح ان يكون فى مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة
عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى
وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور
البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله
هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز
العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون فى مقدور
البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ فى التعجيز واحرى
بالتقريع والاحتجاج بمجئ بشر مثلهم بشئ ليس من قدرة البشر لازم
وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا فى ذلك بمقال بل
صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا
من شموخ الانف واباءة الضيم بحيث لا يوثرون ذلك اختيارا ولا

يرضون

يرضون الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرتهم والشغل
بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم
وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة فى المعرفة به لجميع الانام وما
منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده فى اخفاء ظهوره
واطفاء نوره فما جلوا فى ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا
بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد
وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من
اعجازه **فصل الوجه الثالث** من الاعجاز ما انطوى عليه القران من الاخبار
بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذى اخبر
كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله وهم
من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد
الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض وقوله
اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت
الروم فارس فى بضع سنين ودخل الناس فى الاسلام افواجا فما
مات عليه السلام وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام
واستخلف المومنين فى الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها
من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لى

الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي
منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد
يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما
القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمس مائة
عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه
ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله سيهزم
الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الاية وقوله لن يضروكم
الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار
المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم
بذلك كقوله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول و
قوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله ومن الذين
هادوا سماعون للكذب الاية وقوله ومن الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه الى قوله وطعنا في الدين وقد قال مبديا ما
قدروا الله واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه
قوله انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم

اصحابه

اصحابه بان الله تعالى كفاه اياهم وكان المستهزئون نفرا بمكة
ينفرون الناس عنه ويؤذونه فيهلكوا وقوله والله يعصمك من
الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار
بذلك معروفة صحيحة **فصل الوجه الرابع** ما انباء به من اخبار
القرون السالفة والامم البائدة والشرايع الداثرة مما كان لا يعلم
منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع
عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه
ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله
لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب
ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حالة
احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم
عن هذا فينزل عليه من القران ما يتلوا عليهم منه ذكر قصص
الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته و
اصحاب الكهف وذي القرنين ولقمن وابنه واشباه ذلك من الانبا
والقصص وبدء الخلق وما في التورية والانجيل والزبور وصحف
ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيبه
فيما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير

كعب بن الاشرف

ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى
واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول
احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه
مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنتهم اياه عن
اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه
لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح
وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائل
على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت
لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التورية و
مثلهم في الانجيل كزرع الى غير ذلك من امور التي نزل فيها القرآن
فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه
بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعنادهم و
حسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن

ان قالوا انه مجهول ليس الحق

باهت في ذلك بعض المباهتة وادعا ان فيما عندهم من ذلك لما
حكاه مخالف دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا با
لتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمين فقرع ووبخ
ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتولج

يلقى

يلقى على فضيحته من كتابه بيده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف
قوله من كتبه ولا ابدا صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا
اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من
الكتاب ويعفوا عن كثير الايتين فصل هذه الوجوه الاربعة من
اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه
من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم
انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك لقوله لليهود
قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة الاية قال ابو اسحق
الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة
لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلن يتمنه
واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا

كناية عن سرعة وقوع الموت بهم

يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله
عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة
ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو
قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت
حجته قال ابو محمد الاصيلي من عجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة
ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه

وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية
المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفه نجران وابوا الاسلام
فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الا فامتنعوا
منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد
علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم
ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه
الاية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما
في التي قبلها **فصل** ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه و
اسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة
حاله وانافة خطره وهو على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم
له ولهذا قال عليه السلام ان القران صعب مستصعب على من
كرهه وهو الحكم واما المومن فلا تزال روعته به وهيبته اياه
مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه و
تصديقه به قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا

هذا

هذا القران على جبل لرايته الاية ويدل على هذا شيء خص به انه
يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني
مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مما بكيت قال فقال للشجى والنظم
وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من
اسلم لها لاول وهلة وامن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير
بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقراء في المغرب بالطور
فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المسيطرون
كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي
وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من
خلاف قومه فتلى عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم و
ناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرا
وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمدا عليها حتى انتهى الى
السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه
ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله
لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له
وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف

بها عن ذلك فحكى ان ابن المقنع طلب ذلك ورامه فشرع فيه فمر
بصبي يقراء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي فرجع
ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر
وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن الحكم الغزال بليغ الاندلس
في زمنه فحكى انه رام شيئا من هذا فنظر في صورة الاخلاص
ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية
ورقة حملته على التوبة والانابة **فصل** ومن وجوه اعجازه
المعدودة كونه اية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله
تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية وساير معجزات الانبيا
عليهم السلم انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقران
العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة
خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا
حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة فالاعصار كلها طافحة لاهل
البيان وحمله اهل اللسان وايمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة
البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من
اتى بشيء يوثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته

ولا قدر

ولا قدر منه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في
ذلك الا بزند صحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاه في العجز بيديه
والنكوص على عقبيه **فصل** وقد عد جماعة من الايمة ومقلدي
الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قاريه لا يمله وسامعه
لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبته
لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة
مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به
في الخلوات ويونس بتلاوته في الخلوات ~~ويسحد به من في الازمات~~
وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا
وطرقا يستجلبون تلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق على كثرة الرد
ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل ليس بالهزل لا
تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة
هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا
يهدي الى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب
عامة ولا محمد قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا
يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم

فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه على طرق الحجج العقليات
والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ
موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم
يقدروا عليها كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشأها اول مرة ولو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم
والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم طبيعة
قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شئ وانزلنا اليك الكتاب
تبيانا لكل شئ ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل
وقال عليه السلام ان الله انزل هذا القران آمرا وزاجرا وسنة
خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبا ما بعدكم
وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجايبه هو الحق
ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج
ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدى الى صراط
مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره
قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم
وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن

ابتعه

ابتعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجايبه
ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا يتشانا
فيه نبأ الاولين والاخرين وفي الحديث قال الله لمحمد عليه السلم
اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما
وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب
وعن كعب عليكم بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال
ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
وقال هذا بيان للناس وهدى الاية فجمع فيه وجازة الفاظه
وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله الذي الفاظها على الضعف
منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج
بنظم القران وحسن رصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه
البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع
الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها
ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور
لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمح في الاذان
واحلى في الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها
تيسيره تعالى حفظه لمتعليه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى

ولقد يسرنا القران للذكر وسائر الامم لا تحفظ كتبها الواحد منهم
فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقران ميسر حفظه
للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن
ائتلاف انواعها والتيام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى
والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة
الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات
نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوايده
دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا
ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت (اي اضطربت) الفاظه فتامل
اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم
باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم محمد صلى الله عليه
وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر
وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم
بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم
ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم
على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص
الانبياء عليهم السلم كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه

الجملة

الجملة الكثيرة التي انطوت عليه الكلمات القليلة وهذا كله و
كثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها الايمة
لم يذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان نعد فنا منفردا
في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا
ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز
الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص
القران وعجايبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق **فصل في انشقاق
القمر وحبس الشمس** قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر
وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر **اخبر** تعالى بوقوع انشقاقه
بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن اياته واجمع المفسرون واهل
السنة على وقوعه **اخبرنا** الحسين بن محمد الحافظ من كتابه ثنا القاضي
سراج بن عبد الله ثنا الاصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري
ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفين عن الاعمش عن ابرهيم عن ابي
معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله
عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود رضي

الاسود وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق
انه كان بمكة وزاد فقال الكفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال
رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض
كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد اخر هل رأوا هذا فسألوهم فاخبروهم
انهم رأوه مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال
فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا ارأوا ذلك
ام لا فاخبر اهل الافاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار
هذا سحر مستمر وقد رواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء الاربعة
عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم
انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي
من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن انس سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان
يريهم اية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن
انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين
انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن
مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس
عبيد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة

ابو عبيد

ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق
هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض
مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر
لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة
فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على
الكذب لما كانت علينا به من حجة اذ ليس القمر في حد واحد
لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد
يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار اهل الارض او
يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض
البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي
بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم
وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو و
السكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من
امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون
الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما
يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام
تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها

وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من
طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في
حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصليت العصر يا علي فقال لا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك
فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت
بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في
خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي
ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ
حديث اسما لانه من علامات النبوة وعن يونس بن بكير في زيادة
المغازي في روايته عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا
متى تجي قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش
ينظرون وقد ولى النهار ولم تجي فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل
في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم

اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من اصابعه

صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود
ثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه ثنا
القاضي عيسى بن سهل حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو عمر بن
الفخار ثنا ابو عيسى ثنا يحيى ثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة
عن انس بن مالك رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت
صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك
الاناء وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرايت الماء ينبع من بين
اصابعه فتوضا الناس حتى توضؤا من عند اخرهم ورواه ايضا
عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال
كم كنتم قال زهاء ثلثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند
(موضع قريب المسجد)
السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية
حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا
وهم في نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه
من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا
من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه

فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية و
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضاء منها واقبل
الناس وقالوا يا رسول الله ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع
النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه
كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا
خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان با
لحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث
مسلم الطويل عنه في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد
الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه و
تكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها
فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده
في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال
فرأيت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت
حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت
هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من

الجفنة

من الجفنة وهي ملاء وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها
فسكبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركوة ووضع اصبعه
وسطها غمسها في الماء وجعل الناس يجيؤن ويتوضؤن ثم يقومون
قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه
المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به
لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك
ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا و
اشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر احد من الناس
عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوا وشاهدوا فصار كتصديق
جميعهم له رضي الله عنهم اجمعين **فصل ومما يشبه هذا من
معجزاته تفجير الماء ببركته** وانبعاثه بمسه ودعوته فيما
روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم
وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين
بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في
حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال

ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا
قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه
اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي
خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتى بدلو منها فبصق
ودعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا
انفسهم وركابهم وفي غيرها تين الروايتين في هذه القصة
من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع
في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن
ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في الضبنة ثم
التقم فمها والله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا و
ملؤا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين
وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري
حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه
وسلم خرج بهم ممدا لاهل مؤتة عندما بلغه قتل الامراء وذكر
حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه

هي آلة الوضوء

اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضاة
قال والقوم زهاء ثلثمائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ
على ميضاتك فانها سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك
حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما
انهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث
فوجداها واتيا بها الى النبي عليه السلام فجعل في اناء من مزادتيها
وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت
عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا
ملؤه قال عمران ويخيل اليه انهما لم يزدادا الا امتلاء ثم امر
فجمع للمرأة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فانا لم ناخذ
من ماءك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن
الاكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل
باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه
دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر
ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر [illegible] فيعتصر فرثه فيشربه
فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] يديه فلم

فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من
آنية ولم يجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال
للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت
وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب
بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب
كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه

فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي
ثنا ابن سفين ثنا مسلم بن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن
ابن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى
الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال
يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك
حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين
او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي
ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث
جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل

من

من صاع من شعير وعناق وقال جابر واقسم بالله لأكلوا
حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة
وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت مثله عن
رجل من الانصار وامرأته ولم يسمها قال وجيء بمثل الكف فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول ما شاء
الله فاكل من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن
قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل
ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى
تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين
فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب
فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب
قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها
من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون ومن ذلك حديث
عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة

وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي
سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له
حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون و
فضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد
الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع و
ابي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة اصابت الناس مع
مجاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد
فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى با
لصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا
الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملوه وبقي منه
وعن ابي هريرة امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة
فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما
شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة
ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي
كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب منه
فتح كبير

قال

وقال انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره
ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة
وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل فيه حيسا فوضعه
قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون
وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين وفي رواية
اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم زهاء ثلاث مائة وانهم
اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت وكانت
اكثر ام حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي
ان فاطمة طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا الى النبي صلى الله
عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة
صحفة ثم له عليه السلام ولعلي ولها ثم رفعت القدر وانها
لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر عليه السلام عمر بن
الخطاب ان يزود اربعمائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما
هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل
الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن رواية
جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال
اربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه

بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه
ولم يكن في ثمرها كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ان امر بجذها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى
منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي
رواية مثل ما اعطاهم قال وكان لغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال
ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فاتيني به فادخل يده
فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى
شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال
خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر
مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان رضي الله عنهم فانتهب مني فذهب
وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل
الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع
عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه
النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه فامره
ان يدعوا اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان

اصيب

اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله
عليه وسلم ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم
يأخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم
القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما
زال يقولها واشرب حتى قلت والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا
فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خلد بن عبد
العزى انه اجزر للنبي عليه السلام شاة وكان عيال خلد كثيرا يذبح
الشاة فلا يبدي عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل
من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خلد ودعا له بالبركة فنثر ذلك
لعياله فاكلوا وافضلوا وذكر خبره الدولابي ومن حديث الآجري
في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان النبي صلى الله عليه
وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزور
لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في رأسها ثم ادخل الناس رفقة
رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها
وامر بحملها الى ازواجه رضي الله عنهن وقال كلن واطعمن من
غشيكن وفي حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال لضعه وادع لى فلانا وفلانا ومن لقيت
فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء
ثلثمائة حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم
تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على
الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا
كلهم فقال لى ارفع فلا ادرى حين وضعت كانت اكثر ام حين
رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة فى الصحيح وقد
اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة ورواه
عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم واكثرها فى
قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا
بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر **فصل فى كلام الشجرة**
شهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن
غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابى عمر الطلمنكى عن ابى بكر
بن المهندس عن ابى القسم البغوى ثنا احمد بن عمران الاخنسى ثنا
ابو حيان التيمى وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر رض كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فدنا منه اعرابى فقال يا اعرابى
اين تريد قال الى اهلى قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد

ان

ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال
من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة والسمرة وهى بشاطى
الوادى فادعها فانها تجيبك قال فدعاها فاقبلت تخد الارض حتى
قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى
مكانها **وعن** بريدة سأل اعرابى النبى صلى الله عليه وسلم اية فقال له
قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت
الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها
ثم تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال
الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك
ايذن لى اسجد لك فقال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة
ان تسجد لزوجها قال فاذن لى اقبل يديك ورجليك فاذن له
وفى الصحيح فى حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا
بشجرتين بشاطى الوادى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادى على
باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده

وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما
قال التئما علي باذن الله فالتامتا وفي رواية اخرى قال لي يا جابر
قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي
بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها
فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت
واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا
فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامه بن
زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه
هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان
الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت
ارى نخلات متقاربات فقال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامركن ان تاتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد
رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن
ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي
بعضهن فوق بعض
نفسي بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال

يعلى

يعلى بن سبابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير
وذكر نحوا من هذا الحديثين فذكر فامر ودتين فانضما وفي
رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن
يعلى بن مرة وهو ابن سبابة ايضا وذكر اشياء راها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او قال سمرة جاءت
فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انها استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود
اذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن
مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك
قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع
وذكر مثل الحديث الاول قال القاضي ابو الفضل فهذا ابن
عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن
مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه
القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم
فصارت من انتشارها في القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله
عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته

سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين
الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس بتكذيب قومه وعدم اذعانهم له
ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا اتحب ان
اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة
من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت
بين يديه فقال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا
ولم يذكر فيه جبريل قال اللهم ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها
فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه
وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى
ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه
ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه عليه السلام شكى الى ربه
من قومه وانهم يخوفونه وساله اية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى
اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها ياتيك ففعل
فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله
ثم قال له ارجع كما جئت فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحوه
منه عن عمر وقال فيه ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه
وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت ان دعوت

هذا

هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه
فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي
وقال هذا حديث صحيح فصل في قصة حنين الجذع ويعضد
هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر
والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر
منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة
وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث
قال الترمذي وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد
مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب
يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا
كصوت العشار وفي رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية
سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به وفي رواية المطلب حتى تصدع
وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت
زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد
من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل
هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فامر به نبي الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث
المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس وفي حديث ابي فكان اذا
صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي
فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني ان
النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه
ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله
عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك
عروقك ويكمل لك خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك
في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم
يستمع ما يقوله فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني اولياء الله
واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان
الحسن اذا حدث بهذا بكا وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان
تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله
ابن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب
وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحق
ابن

ابن ابي طلحه ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو
الوداك عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم
وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن
المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه خرجه اهل
الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم
الى من لم نذكره وبدون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب
والله المثبت على الصواب **فصل** ومثل هذا في سائر الجمادات
حدثنا القاضي ابو محمد عبد الله بن عيسى التميمي ثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن
المرابط ثنا المهلب ابو القسم ثنا ابو الحسن القابسي ثنا المروزي
ثنا الفربري البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا ابو احمد الزبيري ثنا
اسرائل عن منصور عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود
كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن
نسمع تسبيحه **وقال** انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى
فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح
ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن **وروى**

مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن في يد عمر وعثمان وقال علي كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما
استقبله جبل ولا شجرة الا قال السلام عليك يا رسول الله
وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة
كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسعد وعن عايشة رضي الله عنها لما
استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر على شجر ولا حجر الا قال
السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث
العباس اذا اشتمل عليه النبي عليه الصلاة والسلام وعلى بنيه
بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت
اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد
عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان
وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس صعد
النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم
فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن
ابي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما
عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال

ومعه

ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا وقال
ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة
وزاد نفسه وقد روى انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط
يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال
حراء الي يا رسول الله وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا
انا الجبار انا المتكبر المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه
وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل
بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد
عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول
جاء الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه
ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث
ابن مسعود فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وزهق الباطل وجاء
الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب
في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى
احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هذا سيد العالمين بعثه الله رحمة للعالمين فقا

له اشياخ من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا
له ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل النبي صلى الله عليه وسلم
وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء
الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه **فصل** في الايات في ضروب الحيوانات
حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ ثنا ابي ثنا القاضي
يونس ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه
وجده قالا ثنا ابو العلا احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس
ابن عمرو ثنا مجاهد عن عايشة رضي الله عنها قالت كان عندنا
داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت
مكانه فلم يجئ ولم يذهب فاذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء وذهب **وروي** عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا
نبي الله قال واللات والعزى لا امنت بك حتى يؤمن بك هذا
الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا
لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذي
في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة

[illegible]

رحمته

١٢٦

رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم
النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي
ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي سعيد الخدري بينا
راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى
الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي
العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب
من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس
بانباء ما سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث
فيه قصة وفي بعضه طول **وروي** حديث الذئب عن ابي هريرة
وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا
على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط اعظم منه عنده قدرا
قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم
وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي
من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه
ومضى وذكر قصته واسلامه ووجود النبي صلى الله عليه وسلم
يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها

موضعان احدهما بين المدينة والعقيق والآخر قبلي المدينة وهما الثنايا حرم النبي عليه السلام بينهما

فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها وعن اهبان بن
اوس انه كان صاحب القصة والمحدث بها والمكلم الذيب وعن سلمة
ابن عمرو بن الاكوع انه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب
اسلامه بمثل حديث ابي سعيد • وقد روى ابن وهب مثل هذا
انه جرى لابن سفين بن حرب وصفوان بن امية مع ذيب وجداه
اخذ ضبيًا فدخل الضبى الحرم فانصرف الذيب فعجبنا من ذلك
فقال الذيب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة
وتدعونه الى النار فقال ابو سفين واللات والعزى لئن ذكرت
هذا بمكة ليتركنها خلوفا • وقد روى مثل هذا الخبر وانه
سش حرم الخمر على نفسه قبل ان يحرم صح
جرى لابى جهل بن هشام واصحابه وعن ابن عباس بن مرداس لما تعجب
من كلام ضمار ضمه وانشاده الشعر الذى ذكر فيه النبى صلى الله عليه
وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ولا تعجب
من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت
جالس فكان سببا اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى
النبى صلى الله عليه وسلم فامن به وهو على بعض حصون خيبر وكان
فى غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب
وجوهها فان الله سيؤدى عنك امانتك ويردها الى اهلها

نفعل

١٢٦

ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبى
صلى الله عليه وسلم حائطا انصارى وابو بكر وعمر ورجل من الانصار
وفى الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها
الحديث وعن ابى هريرة رض دخل النبى صلى الله عليه وسلم حايطا
فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله فى الجمل عن ثعلبة بن مالك
وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا
يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه رسول الله
صلى الله عليه دعاه فوضع مشفره فى الارض وبرك بين يديه
فخطمه وقال ما بين السماء والارض شئ الا يعلم انى رسول الله الا
عاصى الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابى اوفى وفى خبر اخر
فى حديث الجمل ان النبى صلى الله عليه وسلم سألهم عن شانه
فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وفى رواية انه شكى
الى انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه فى شاق العمل فى صغره فقالوا
نعم وقد روى فى قصة العضبا وكلامها النبى صلى الله عليه وسلم
وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها فى الرعى وتجنب
الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب

بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرايني وروى ابن وهب ان حمام مكة
اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي
عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه
وسلم فستر تروا م حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث اخر
وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له ورأوا
ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله
عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب
الى النبي صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع لينحرها
يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبداء وعن ام سلمة كان النبي صلى الله
عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك
قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني
حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها
فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله
الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في
الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن
هذا الباب ما روى من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه

انه

١٢٧

انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم
وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى
ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فيها فقلت انا مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبيه حتى اقامني
على الطريق واخذ صلى الله عليه وسلم باذن شاة لقوم من عبد
القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك
الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روى عن ابرهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب
فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى
دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان
النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات
وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها
انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي اتت النبي صلى الله عليه وسلم
وهو في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء
ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم
قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه
ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه الصلوة والسلام
وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى
نفرغ من صلاتنا وجعلها قبلته فما حرك عضوا منه حتى صلى
صلى الله عليه وسلم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه
بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة **فصل**
في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم
له بالنبوة صلى الله عليه وسلم **وروى** ابو الوليد هشام بن احمد
الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي
ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا
ثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى
ثنا احمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا وهب بن
بقية عن خلد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة
انَّ يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية
سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال
ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال
لليهودية ما حملك على ما صنعت قال ان كنت نبيا لم يضرك الذي
صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت

وقد

وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان
الله ليسلطك على ذلك فقالوا الا نقتلها قال لا وكذلك روي
عن ابي هريرة رض من رواية غير وهب وقال فما عرض لها ورواه
ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها
وفي رواية الحسن ان فخذها تكلم لي انها مسمومة وفي رواية ابي
سلمة بن عبد الرحمن فقالت اني مسمومة ولم يعاقبها وكذلك ذكر
الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الاخر عن انس انه
قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي
مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالان اوان قطعت ابهري
وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات شهيدا مع ما اكرمه الله تعالى به من النبوة **وقال** ابن سحنون
اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية
التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة و
انس وجابر وفي رواية ابن عباس انه دفعها لاولياء بشر بن البراء
فقتلوها وكذلك اختلف في قتل الذي سحره قال الواقدي وعفو
عنه اثبت عندنا وروى عنه انه قتله وروى الحديث البزار عن

ابى سعيد فذكر مثله الا انه قال فى آخره فبسط يده وقال كلوا
بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا قال القاضى ابو
الفضل رحمه الله تعالى وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل
الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة النظر
فى هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى فى الشاة
الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها
منها دون تغيير اشكالها ونقلها هيئتها وهو مذهب الشيخ
ابى الحسن والقاضى ابى بكر رحمهما الله وذهب آخرون الى ايجاد
الحيوة بها اولا ثم الكلام بعده وحكى هذا ايضا عن شيخنا ابى
الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل الحيوة شرطا لوجود الحروف
والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحيوة لمجردها
فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسى فلا بد من شرط
الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حى خلافا للجبائى
من بين متكلمى سائر الفرق فى احالته وجود الكلام اللفظى
والحروف والاصوات الا من حى مركب على تركيب من يصح منه
النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك فى الحصا والجذع و
الذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها حياة وخرق فيها فما ولسانا

والة

١٢٦

والة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والاهتمام
به اكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير
والروايات شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة
اليه فى النظر والله الموفق وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان
النبى صلى الله عليه وسلم اتى بصبى قد شب ولم يتكلم قط فقال
من انا فقال رسول الله وروى عن معرض بن معيقيب قال رايت من
النبى صلى الله عليه وسلم عجبا جئ بصبى يوم ولد فذكر مثله
وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه
وفيه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم
ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة و
كانت هذه القصة بمكة فى حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبى
صلى الله عليه وسلم وذكر له انه طرح بنية له فى وادى كذا فانطلق
معه الى الوادى وناداها باسمها يا فلانة اجيبينى باذن الله فخرجت
وهى تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت
ان اردك عليهما قالت لا حاجة لى فيهما وجدت الله خيرا لى منهما
وعن انس ان شابا من الانصار توفى وله ام عجوز عمياء فسجيناه
وعزيناها فقالت مات ابنى قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم انى

هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحمل
على هذه المصيبة قال فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم
وطعمنا وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن
ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه
القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد وعثمان
البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن البشير ان
زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه
بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن
وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك
في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان
ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا
كما كان **فصل** في ابراء المريض وذوي العاهات اخبرنا ابو
الحسن عن ابن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره انا ابو اسحق
الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام
عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق ثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة
وجماعة ذكرهم بقصة احد بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي
وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له

فيقول

فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
عن قوسه حتى اندقت واصيب يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان
حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت
احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن
عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق
على اثر سهم في رجل ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي
ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله
ادع الله ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين
ثم قل اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني
اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال
فرجع وقد كشف الله عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة
اصابه استسقاء فبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ
بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها
متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله
وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت
عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عينيه فابصر فرأيته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين وروى

كلثوم بن الحصين يوم احد فى نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه فبراء وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل فى
عينى على يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة
بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت وفى رجل زيد بن معاذ حين
اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئت وعلى
ساق على بن الحكم يوم الخندق اذا نكسرت فبراء مكانه وما نزل
عن فرسه واشتكى على بن ابى طالب فجعل يدعوا فقال النبى صلى الله
عليه وسلم اللهم اشفه او قال عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى
ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفرا فجاء
يحمل يده فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها والصقها فلصقت
رواه ابن وهب ومن روايته ايضا ان حبيب بن يساف اصيب
يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى
مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح
واتته امراة من خثعم معها صبى به بلاء لا يتكلم فاتى بماء فمضمض
فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرا
الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت
امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو

الاسود

الاسود فسعى وانكفات القدر على ذراع محمد بن خاطب
وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبراء لحينه وكانت فى
كف شرحبيل الجعفى سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان
الدابة فشكاها للنبى صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته جارية طعاما وهو ياكل فناولها
من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد من الذى فى فيك
فناولها ما فى فيه ولم يكن يسئل شيئا فيمنعه فلما استقر فى جوفها
القى عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حياء منها
فصل فى اجابة دعائه وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة
النبى عليه الصلاة والسلام لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر
على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء فى حديث حذيفة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد
ولده حدثنا ابو محمد العتابى بقراءتى عليه ثنا ابو القسم ثنا حاتم بن
محمد ثنا ابو الحسن القابسى ثنا ابو زيد المروزى ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن ابى الاسود ثنا حرمى انا شعبة عن قتادة
عن انس قال قالت امى يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال
اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اتيته ومن رواية عكرمة

قال انس فو الله ان مالى لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون
اليوم على نحو المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء
العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا
اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف
بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجر الرجوت ان اصيب
تحتها ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤس
حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وقيل مائة
الف وقيل بل صولحت احديهن لانه طلقها في مرضه على نيف و
ثمانين الفا وقيل مائة الف واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته
الفاشية في حيوته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلثين عبدا و
تصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل
شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها ودعا
لمعوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابي وقاص
ان يجيب الله دعوته ويسدد رميته فما دعا على احد الا استجيب
له ودعا بعز الاسلام بعمر او ابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن
مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر فاصاب الناس في بعض مغازيه
عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم

ثم

١٣٢

ثم اقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا
فصحوا وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية
فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين
ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين و
علمه التأويل فسمي بذلك الحبر وترجمان القران ودعا لعبد الله بن جعفر
بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد با
لبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن ابي الجعد
قال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال
البخاري في حديثه فكان لو اشترى ترابا ربح فيه وروى مثل هذا
لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاءت بها اعصار ريح حتى ردها
عليه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي ان يكفى الحر والقر فكان
يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف ولا
يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته رضي الله عنها الا يجيعها
الله قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال
اللهم نور له فسطع نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا
مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا
النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم

وقال لابي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة ص

فسنتوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم تبق له
باقيه ولم يبقيت لفارس رياسة فى اقطار البلاد ودعا على صبى قطع
عليه الصلاة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل ياكل بشماله كل
بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه و
قال لعتبة بن ابى لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله
الاسد وقال لامره اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية
عبد الله بن مسعود فى دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته
وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا يوم
بدر ودعا على الحكم بن ابى العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبى
صلى الله عليه وسلم اى لا فراه النبى صلى الله عليه وسلم فقال فكذلك
كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته
الارض ثم روى فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضوا عليه
بالحجارة والصد جانب الوادى وجحد رجل بيع فرس وهى التى
شهد فيها خزيمة للنبى صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبى صلى
الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له
فيها فاصبحت شاصية برجلها اى رافعة وهذا الباب اكثر من
ان يحاط به فصل فى كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما

لمسه او باشره قال القاضى رحمه الله انا احمد بن محمد ثنا ابو ذر
الهروى اجازة وثنا القاضى ابو على سماعا والقاضى ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا ثنا ابو الوليد القاضى ثنا ابو ذر ثنا
ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا
يزيد بن ذريع ثنا سعيد عن قتادة ثنا انس بن مالك ان اهل المدينة
فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابى طلحة كان
يقطف او قال به قطاف وقال غيره يبطأ فلما رجع قال وجدنا فرسك
بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى
كان لا يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعى خفقها
بمخفقة معه وبارك عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها
باثنى عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا
جا لا يساير وكانت شعرات من شعره فى قلنسوة خالد بن الوليد فلم
يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفى الصحيح عن اسماء بنت ابى بكر
انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها وحدثنا القاضى ابو على عن شيخه
ابى القسم بن المامون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبى صلى الله
عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ حجاه

الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح
الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب
من فضل وضوءه في بئر قباء فما نزفت بعد وبصق في بئر كانت
في دار انس فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسأل عنه
فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب
فطاب واُتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فكان ازكى رائحة من المسك
واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا
وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا
آنية السمن
فامرها النبي صلى الله عليه وسلم الا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا
هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها فيسئلونها الادم وليس عندهم شيء
فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان
يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن
ذلك بركة يده فيما مسه وغرسه لسلمان حين كاتب مواليه على
ثلثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية
من ذهب فقام عليه السلام وغرسها له بيده الا واحدة غرسها
له غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه
وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزاز فاطعم النخل من عامه الا الواحدة

فقلعها

فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت
عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على
لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم
وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت اجد
شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ضحيت واعطى
قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا
وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا فاذا دخلت
بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق
فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج
ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه
يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد
المتن فقاتل به فلم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال
اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن
جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا
ومنه بركته في درور الشاة الحوامل باللبن الكثير كقصة شاة ام
معبد واعنز معوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته و

وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها الفحل وشاة
المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا
فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة
في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على رأس عمير ابن سعد وبرك
فمات وهو ابن ثمانين سنة وما شاب وروى مثل هذه القصص
عن غير واحد منهم السايب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة
ابن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عابد بن عمرو
وكان جرح يوم حنين ودعا له وكانت له غرة كغرة الفرس ومسح
على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة وراسه
ابيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت عليه يده من
شعره اسود فكان يدعى الاغر وروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن
ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه
قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه
كما ينظر في المرآة ووضع يده على راس حنظلة بن جذيم وبرك عليه
فكان حنظلة يوتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها
فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح

في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما نعرف كان في وجه
امراة من الجمال ما بها ومسح على رأس صبي به عاهة فبراء واستوى
شعره وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبراءوا
واتاه رجل بادرة بالعضم من النحوة في الحصبة فامره ان ينضحها بماء عن مج فيها ففعل فبراء
وعن طاوس قال لم يوت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس فضرب
في صدره الا ذهب بالمس الجنون ومج في دلو من بئر ثم صب فيها
ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها
في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذاء
عن اعينهم وشكى اليه ابو هريرة النسيان فامره يبسط ثوبه و
غرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسى شيئا بعده وضرب في
صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر انه لا يثبت على الخيل فصار
من افرس العرب واثبتهم ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب
وهو صغير وكان ذميما ودعا بالبركة فنزع الرجال طولا وتماما
فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون و
الاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره و
هذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا
خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع

على الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة
وقراءة على غيره قال ابو بكر ثنا ابن علي التستري ثنا ابو عمر الهاشمي
ثنا اللولوي ثنا ابو داود ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا جرير عن الاعمش
عن ابي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا
حدث حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هولاء
وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل
اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي
ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد
فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه
لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه
علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه عليه السلم
مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس
واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة
الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي
علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويوتون من

زهرتها

زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من
الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم
على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانها ستكون لهم
انماط ويغدوا احدهم في حلة ويروح في اخرى ويوضع بين يديه
صحفة وترفع اخرى وانهم يسترون بيوتهم كما تستر الكعبة
ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منهم يومئذ وانهم اذا مشوا
المطيطيا وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم
وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم و
ذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر
حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى آخر الدهر وبذهاب
الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور
الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه عليه السلم
زويت له الارض فارى مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امته ما زوي له منها فكذلك كانا متدت في المشارق والمغارب
ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراه
وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم يمتد في الجنوب ولا في
الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى

تقوم الساعة وذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم مختصون
بالسقي بالغروب وهي الدلو وغيره نذهب الى انهم اهل الغرب
وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر من رواية
ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم
حتى ياتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت
المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني
امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم
جمع دولة
اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم
وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها من الذي يخضب هذه من هذه
اي لحيته من رأسه وانه قسيم النار يدخل اولياءه الجنة واعداءه
النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن تنسب
اليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف
وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر
دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر
حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه ءم
وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة
عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله

اصحاب معوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من
الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل
نفسه وقال لي في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة
اخركم موتا في النار فكان بعضهم يسئل عن بعضهم فكان سمرة اخرهم
موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل
سلوا زوجه عنه فاني رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت
انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل يعني القتال قال ابو سعيد
وجدنا رأسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا
الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما
الحجاج والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا
به عليه السلام وانذر بالردة وبان الخلافة بعده ثلثون سنة
ثم يكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسين بن علي وقال ان هذا الامر
بدا نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم
يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة واخبر بشان اويس
بالعجم
القرني وبامراء يكونون من بعده يؤخرون الصلاة عن وقتها و
سيكون في امته ثلثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث
ثلثون دجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله

ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيكم ويضربون
رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من
قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم
ياتى بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون
وينذرون ولا يوفون وقال لا ياتى زمان الا والذى بعده شر منه
وقال هلاك امتى على يدا غيلمة من قريش قال ابو هريرة لو شئت سميتهم
لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب
اخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام فلم
يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق منهم جماعة وانهم سيلقون بعده
اثرة واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذى فيهم وان
سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤساء الناس والعراة والحفاة
يتبادرون فى البنيان وان تلد الامة ربتها سيدتها وان قريشا والاحزاب
لا يغزونه ابدا وانه عليه السلام يغزوهم واخبر بالموتان الذى يكون
بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون فى
البحر كالملوك على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله
رجال من ابناء فارس وهاجت ريح فى غزاة فقال هاجت لموت منافق
فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال القوم من جلسائه ضرس

صح

١٢٨

احدكم فى النار اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب القوم يعنى ماتوا
وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذى غل خرزا من
خرز يهود فوجدت فى رحله وبالذى غل الشملة وحيث هى ناقته
حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب
حاطب الى اهل مكة وبقصة عمير مع صفوان حين ساره وشارطه
على قتل النبى صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير الى النبى عليه السلام
قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر و
السر اسلم واخبر بالمال الذى تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد
ان كتمه فقال ما علمه غيرى وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابى
ابن خلف وفى عتبة بن ابى لهب انه ياكله السبع وعن مصارع
اهل بدر فكان كما قال وقال فى الحسن ان ابنى هذا سيد وسيصلح
الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ولسعد لعلك تخلف حتى
ينتفع بك اقوام ويضر بك اخرون واخبر بقتل اهل مؤتة يوم
قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشى يوم مات
وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت
كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر ابا ذر
بتطريده كما كان ووجده فى المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت

منه قال اَسكن المسجد الحرام قال فاذا اُخرجت منه الحديث
وبعيشه وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه به لحوقاً
اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل
الحُسين بالطَف واخرج بيده تُربة وقال فيها مضجعه وقال فى زيد
ابن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده فى الجهاد
وقال فى الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك نبى وصديق
وشهيد فقتل على وعمر وعثمن وطلحة والزبير وطعن سعد وقال
لسُراقة كيف بك اذا البست سوارى كسرى فلما اتى بهما لعمر البسهما
اياه وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى والبسهما سُراقة وقال
تُبنى مدينة بين دجلة ودُجَيل وقُطرُبل والفراة يجبى اليها خزائن
الارض يخسف بها يعنى بغداد وقال سيكون فى هذه الامة رجل
يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم
الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة وقال لعمر فى
سُهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك
قام بمكة مقام ابى بكر يوم بلغهم موت النبى صلى الله عليه وسلم و
خطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه
لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها فى حياته

وبعد موته كما قال عليه السلام الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم
وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه
وفى المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله
لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر
الذى سحره به لبيد بن الاعصم وكونه فى مشط ومشاطة فى جف
طلعة نخلة ذكر وانه القى فى بئر ذروان فكان كما قال ووجد على
تلك الصفة واعلامه قريشا باكل الارضة دويبه ما فى صحيفتهم التى تظاهروا
بها على بنى هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم
لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين
كذبوه فى خبر الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم
التى مر عليها فى طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال
عليه السلام الى ما اخبر به من الحوادث التى تكون ولم يات بعد و
منها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب
وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قُسطنطينية ومن
اشراط الساعة وايات حلولها وذكر الحشر والنشر واخبار الابرار
والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل ان
يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت



الاحاديث التى ذكرناها كفاية واكثرها فى الصحيح وعند الائمة والله
ولى التوفيق فصل فى عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من
اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال فاصبر لحكم ربك
فانك باعيننا وقال اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداءه
المشركين وقيل غير هذا وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر
بك الذين كفروا الاية اخبرنا القاضى الشهيد ابو على الصدفى قراءة
عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافرى قالا حدثنا
ابو الحسين الصيرفى ثنا ابو يعلى البغدادى ثنا ابو على السنجى ثنا ابو
العباس المروزى ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا عبد بن حميد ثنا مسلم بن
ابرهيم ثنا الحرث بن عبيد عن سعيد الجريرى عن عبد الله بن شقيق
عن عايشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت
هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمنى
ربى عز وجل وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا
اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابى فاخترط سيفه
فقال من يمنعك منى فقال الله فارعدت يد الاعرابى وسقط سيفه
وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت

هذه القصة فى الصحيح وان غورث بن الحرث صاحب هذه القصة
وان النبى صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم
من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم
بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين
وذكر مثله وقد روى انه وقع له مثلها فى غزوة غطفان بذى
امر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه
الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا اين ما كنت تقول
وقد امكنك فقال انى نظرت الى رجل ابيض طويل دفع فى صدرى فوقعت
لظهرى وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت
يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم وفى رواية الخطابى ان غورث بن
الحرث المحاربى اراد ان يفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا
وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت
فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة
وجع الظهر وقيل فى قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان النبى صلى الله
عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء

فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة
وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطأوها
كثيبا اهيلا وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب
وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة
فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه عليه
السلام فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى
الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه
بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته و
رجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت الصفا
والمروة فحالت بيننا وبينه وعن ابن عمر تواعدت انا وابو جهم بن
حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله
فتسمعنا له فافتتح فقرأ الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية
فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وقرأها ربين فكانت
من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة
عند ما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من

بينه

بينه فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب
على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله
له من الايات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف
حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما
ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش
لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك
ابن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعايل
فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي عليه
السلام فساخت قوائم فرسه فخر عنها فاستقسم بالازلام فخرج
له ما يكره ثم ركب فرسه ودنا حتى سمع قراءة النبي عليه السلام وهو
لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أتينا
فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانيا الى ركبتيها وخر عنها فزجرها
فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي
صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم
بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم
فانصرف يقول للناس كفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهم اركما دعوتما
على فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم

وفي خبر اخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد
مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع
الى موضعه وجاء فيما ذكره ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو
ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يده
الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو الله ففعل
فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه
ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رايت
مثله قط فهم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل
لو دنا مني لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي
صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه
وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر ان في
هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين ومن
ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس
الى جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه
رحا فقام النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف الى المدينة واعلمهم
بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم الاية في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه

خرج

خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتل عمرو بن
امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القسم حتى نطعمك ونعطيك
ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر
حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام
كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى
الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا صلى الله
عليه وسلم يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي عليه السلم اعلموه فاقبل
فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال
لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت
هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه السلم تلك
الملائكة لو دنا مني لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل الله على النبي
صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة ويروى
ان رجلا يعرف بشيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان
حمزة قد قتل اباه وعمه فقال ادرك ثاري من محمد عليه السلام فلما
اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليضربه فلما دنوت
منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس
بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو

ابغض الخلق الىّ فما رفعها الا وهو احب الخلق الىّ وقال لى ادنُ
فقاتل فتقدّمتُ امامه اضرب بسيفى ولو لقيت ابى تلك الساعة لاوقعت
به دونه وعن فضالة بن عمرو قال اردت قتل النبى صلى الله عليه وسلم
عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلمّا دنوت منه قال افضالة قلت
نعم قال ما كنتَ تحدّثُ به نفسكَ قلت لا شئ فضحك واستغفر لى
ووضع يده على صدرى فسكن قلبى فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله
شيئا احب الىّ منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واَربد بن
قيس حين وفدا على النبى صلى الله عليه وسلّم وكان عامر قال له انا
اُشغِل عنك وجه محمد عليه السلام فاضرِبه انت فلم يره فعل شيئاً
فلما كلّمه فى ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الّا وجدتك بينى وبينه
افاضربُك ومن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا
به وعيّنوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضّوهم على قتله
فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره صلى الله عليه
وسلم بالرُّعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه السلام فصل
ومن معجزاته الباهرة صلى الله عليه وسلّم ما جمعه الله له من
المعارف والعلوم وخصّه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا
والدّين ومعرفته من امور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده

ومصالح امّته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل
والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم الى زمنه وحفظهُ
شرايعهم وكتبهم ووعى سيرهم وسرد انباءهم وايام الله فيهم
وصفات اعيانهم واختلاف ارائهم والمعرفة بمددهم وَ
اعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجّة كلّ امّة من الكفرة ومعارضة كلّ
فرقة من الكتابيين بما فى كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت
علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيّروه الى الاحتواء على
لغاتِ العرب وغريب الفاظ فِرَقِها والاحاطةِ بضروب فصاحتها
والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعانى اشعارها والتخصيص
بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحِكم البيّنة
لتقريب التفهّم للغامض والتّبيين للمشكل الى تمهيد قواعد
الشّرع الّذى لا تناقض فيه ولا تجادُل مع اشتمال شريعته على
محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكلّ شئ مستحسن مفصل
لم ينكره منه ملحد ذو عقلٍ سليم شيئاً الّا من جهة الخذلان
بل كلّ جاحدٍ له وكافر به من الجاهليّة اذا سمع ما يدعو اليه
صوّبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احلّ لهم
من الطّيبات وحرّم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم وَ

اعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف
بالنار اجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كا
لطب والعبارة والفرايض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم
مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه السلام فيها قدوة واصولا
في علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طاير
ما لم تعبر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه
ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن
تكذب وقوله اصل كل داء البردة وما روي من حديث ابي هريرة من
قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا
لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله خير
ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم
سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي
سبعة اشفية وقوله ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطن الى قوله
فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد
سئل عن سبا ارجل هو ام امراة او ارض فقال رجل ولد عشرة
تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب
قضاعة وغير ذلك مما اضطرب العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله

عما

عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير راس العرب ونابها ومذحج
هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها و
ذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض وقوله في الحوض زواياه سوا وقوله في حديث الذكر وان
الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمس مائة
في الميزان وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق
والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله
لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه عليه السلام
كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى وردت اثار بمعرفته
حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم
رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الاخر الذي
يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له الق
الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن
الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه السلام
كتب ولا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه
عليه السلام بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور
قد نبهنا على بعضه في اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات العرب

كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر
الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب دَرْدَم
اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا
يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب و
مشافهة اهلها عمره وهو صلى الله عليه وسلم رجل لم يكتب ولم يقراء
ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ من بين قوم لهم علم ولا
قراءة بشيء من هذه الامور ولا عرف قبل هو بشيء منها قال الله تعالى
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية انما كانت
غاية معارف النسب واخبار اوائلها الابل والشعر والبيان وانما
حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة
اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه عليه السلام ولا سبيل
الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصنا
الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم قالوا ما زعموا كان
العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي و
سلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من القران وظهور ما لا ينعد
من الايات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم

واختلف

واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده
عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن
قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه
وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان
او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم في اسمه
بين اظهرهم يكلمونه مدا اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم من
مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم
بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب
طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فياخذ عنه ايضا ما يعارض
به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحرث بما كان
يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه
ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتب فيقال انه استمد منهم
بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم
لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او في سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة
يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه
ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة
من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد

كله لكان مجئ ما اتى به فى معجز القران قاطعًا لكل عذر ومدحضا
لكل شبه ومجليا لكل غيهب فصل ومن خصايصه عليه السلام
وكراماته وباهر اياته انباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة
وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان
تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية وقال اذ يوحى ربك الى الملائكة انى
معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم
انى ممدكم الايتين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القران حدثنا سفين بن القاضى الفقيه بسماعى عليه ثنا ابو الليث السمرقندى
انا عبد الغافر الفارسى ثنا ابو احمد الجلودى ثنا ابن سفين ثنا مسلم ثنا
عُبيد الله بن معاذ ثنا ابى ثنا شعبة عن سليمان الشيبانى سمع
زِرَّ بن حُبَيش عن عبد الله قال لقد رأى من ايات ربه الكبرى قال رأى
جبريل فى صورته له ستمأية جناح والخبر فى محادثته مع جبريل
واسرافيل وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم
صُوَرِ بعضهم ليلة الاسراءِ مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة
من اصحابه فى مواطن مختلفة فرأى اصحابُه جبريل عليه السلام فى صورة
رجل يساله عن الاسلام والايمان ورأى ابن عباس واسامة وغيرهما
عنده جبريل فى صورة دحية ورأى سعد على يمينه جبريل وعن

يساره ميكائل فى صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير
واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يومَ بدر وبعضهم رأى
تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى ابو سفين ابن الحرث
يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها
شئ وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحُصَين ورأى النبى صلى الله
عليه وسلم حمزةَ جبريل فى الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله
ابن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزُط
وذكر ابن سعد ان مُصعب بن عمير لما قُتل يوم اُحدٍ اخذ الرايةَ ملك
على صورته فكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول له تقدَّم يا مُصعَب
فقال الملك لستُ بمُصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من
المصنفين عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس مع النبى صلى الله
عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصًى فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم
فرد عليه فقال نغمة الجن من انت قال انا هامة بنُ الهيم بن لاقيس بن
ابليس فذكر انه لقى نوحا ومن بعده فى حديث طويل وان النبى
عليه السلام علّمه سورا من القران وذكر الواقدى قتل خلد عند
هَدْمه العزى للسوداء التى خرجت له ناشرةً شعرها عريانةً فجزلها
بسَيفه واَعلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى وقا

عليه السلام ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع على صلاتي
فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري
المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمن رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الاية فرده الله خاسئا وهذا
باب واسع فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادف
به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتاب من صفته وصفة
امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد في ذلك
من اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة و
كعب بن لوي وسفين بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف
ابن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امر زيد بن عمرو بن نفيل وورقة
ابن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب
تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التورية والانجيل مما قد
جمعه العلماء وبينوه ونقله عنها ثقات من اسلم منهم مثل ابن
سلام وبني شعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن
اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وضغاطر وصاحب بصرى
واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف
نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل

وصاحب رومية عالم النصرانية ورئيساهم ومقوقس والشيخ صاحبهم
وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا و
غيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على
الشقاء والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع يهود والنصارى
بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم بما
انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم
السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم
الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره و
لو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس
والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب
وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن
جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن كريز وفاطمة
ابنت النعمن ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من
نبوته صلى الله عليه وسلم وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف
الجان ومن ذبايح النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبي
صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور

بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك
معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده
عليه السلام وما حكته امه آمنة ومن حضره من العجايب وكونه
رافعا رأسه عند ما وضعته شاخصًا ببصره الى السماء وما رأته
من النور الذي خرج عند ولادته وما رأته اذ ذاك ام عثمن بنت ابي
العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا
النور وقول الشفا ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على
يدي واستهل سمعت قائلًا يقول رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق
والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه
من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه
وحسن نشاته وما جرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى
وسقوط شرافاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها
الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب وآله وهو صغير
شبعوا ورووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان ساير
ولد ابي طالب يصبحون شعثًا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلًا
دهينًا كحيلًا قالت ام ايمن حاضنته ما رايته عليه السلام شكى جوعا
ولا عطشًا صغيرًا ولا كبيرًا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع

رصد

رصد الشياطين ومنعهم من استراق السمع وما نشاء عليه من
بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك
وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره
ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد
ازاره عليه فقال له عمه العباس رض ما بالك قال اني نهيت عن التعرى ومن ذلك
اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة ونساءها رأينه لما
تقدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك
منذ خرج معه في سفره وقد روى ان حليمة رات غمامة تظله وهو عندها
وروى ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه نزل في بعض اسفاره
قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاشرقت
وتدلت عليه اغصانها بمحضر من راه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الآخر
حتى اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه
كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا على ثيابه صلى الله
عليه وسلم ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحى اليه ثم اعلامه
بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته وبين قبره
روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث
الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه

في بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله
وندائهم الذي سمعوه الا تنزعوا عنه القميص عند غسله وما
روي من تعزية الخضر عليه السلام والملائكة اهل بيته عند موته
الى ما ظهر على اصحابه من كرامته وبركته في حياته وموته كاستسقا
عمر بعمه رضي الله عنهما وتبرك غير واحد بذريته صلى الله عليه وسلم

فصل قال القاضي ابو الفضل قد اتينا في هذا الباب على نكت من
معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية
والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح
واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد
في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون
ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم اظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها والثاني
انه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه
الناس على ذلك فان اردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من
تقدم من الانبياء عليهم السلام تقف على ذلك ان شاء الله تعالى
واما كونها كثيرة فهذا القران كله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند

بعض

بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها
وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون ان
كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ان ما
ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم
به مع ما يقتضي هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا
ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف
على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات
فيتجزأ القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة
الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين
طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان
فيتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار
بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر
عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد
كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف
هذا في حق القران فلا يكاد يأخذ العد معجزاته عليه السلام ولا
يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة
عنه عليه السلام في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى

جملة تبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه
وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر اهل زمانهم وبحسب الفن الذي
سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر
بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم
منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك
زمن عيسى عليه السلام اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم
امر لا يقدرون عليه وآتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء
الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات
الانبياء عليهم السلام ثم ان الله تعالى بعث محمدا عليه السلام وجملة
معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة
فانزل عليه القران الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز
والبلاغة الخارجة عن نظم كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب
العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان
منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر
فابطل فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه
وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب
عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من
ارانها

الاخبار

١٥

الاخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة و
الحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي
بسطناها وبيّنا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه
الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القران ثابتة الى يوم القيمة
بيّنة الحجة لكل امة تاتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه
اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا
ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر
البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس
اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها
حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم
ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته
تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام بقوله فيما حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق و
ابو الهيثم قالوا انا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا
الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من الانبياء نبي الا اعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما
كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجوا اني اكثرهم تابعا يوم القيمة

هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله وذهب
غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا عليه
السلام الى معنى آخر من ظهورها وكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل
فيه ولا التخييل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام
المعاندون لها باشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء
السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتخيل
فيه والقران كلام الله ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل وكان
من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا
خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل
الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل الثاني مما يغمض الجفن عليه
ويغضى وجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت
في مقدور البشر فصرفوا عنها على احد مذهبي اهل السنة من ان
الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكنه لم يكن ذلك قبل ولا يكون
بعد لان الله لم يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا
فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم و
رضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس
والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين آية

للعجز

للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن
شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني
وغيره وقال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة
في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارًا
ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن و
فضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلائق مئين جمع مائة
من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم ياتوا فلم يبق بعد
توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع الله تعالى الخلق عنها
بمثابة ما لو قال نبي آيتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم
عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام
لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن
بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الانبياء حتى احتاج
للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها ووفور عقولها
وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم
وغيرهم من القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل
بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه
ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا

المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه ولا صلبوه ولكن شبه
لهم فجاء بهم من الايات الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ
افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو
ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع
وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده
من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما
جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم
لاول وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا
كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم
في نصرته واتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو
احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبا

بالكسر الزينة ... او ذهب

لله استعين كمل تم الجزء الاول من كتاب
الشفاء بتعريف حقوق المصطفى
بحمد الله تعالى وحسن توفيقه
والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه استعين رب يسر يا كريم ويتلوه النصف الثاني القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام

قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهذا قسم لخصناه
الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرنا اول الكتاب ومجموعها في وجوب
تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره
وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به
وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور
الذي انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا
بالله ورسوله وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الاية
فالايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا
به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه
بقراءتي عليه ثنا الامام ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي
ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفين ثنا ابو الحسين ثنا امية بن بسطام
ثنا يزيد بن زريع ثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب

عن ابيه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت
اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا وبما جئت به فاذا
فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله قال القاضي ابو الفضل رحمه الله والايمان به عليه السلام
هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به و
ما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول
الله واذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك
باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه
من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ
قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي عليه السلام ان تشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله
عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث
فقد قرر ان الايمان به عليه السلام محتاج الى العقد بالجنان
والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة
التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق
القلب وهذا هو النفاق قال الله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد

انك

١٥٢

انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم
وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم
ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان
ولم يكن لهم في الآخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا با
الكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام
باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام
المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة
الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها
بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال
عليه السلام هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد
ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان
وبقيت حالتان اخريان بين هذين احدهما ان يصدق قلبه ثم يخترم
قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم
من تمام الايمان القول والشهادة به وراه بعضهم مؤمنا
مستوجبا للجنة لقوله عليه الصلاة والسلام يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب

وهذا مؤمن بقلبه غير عاصٍ ولا مُفرطٍ بترك غيره وهذا هو الصحيح
في هذا الوجه الثاني أن يصدق بقلبه ويطول مَهَله وعَلِم ما يلزمه
من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عُمره ولا مرة فهذا
اختُلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مُصدق والشهادة من جملة
الاعمال فهو عاصٍ غير مُخَلّد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقدَهُ
شهادة اللسان اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة
مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح و
هذه نُبَذة تفضي الى متسَّع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما
والزيادة فيهما والنقصان وهل التجزّي ممتنع على مجرد التصديق
لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه
لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقينٍ وتصميم اعتقاد
ووضُوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بَسط هذا خروج
عن غرض التاليف وفيما ذكرنا غُنْيةٌ فيما قصدنا **فصل** واما
وجوب طاعتهُ فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبَتْ
طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون وقال تعالى وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول

فقد اطاع الله وقال تعالى وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وقال تعالى ومن يطع الله والرسول الاية وقال تعالى
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله
طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد
على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نَهيه قال
المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام امره والتسليم لما جاء به
وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه
وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسُئل سَهل
ابن عبد الله عن شرايع الاسلام فقال وما اتاكم الرسول فخذوه
وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرايضه والرسول في سُنَنه
وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال
اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة
حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
علي بن محمد بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا
عبدان انا عبد الله انا يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد
الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري

فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني فطاعة الرسول عليه
السلام من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر
الله به وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن الكفار في دركات جهنم يوم
تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسول فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال صلى الله عليه
وسلم اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بشيء (بامر) فأتوا منه
ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم كل
امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يأبى قال من اطاعني دخل
الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه صلى الله
عليه وسلم مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا
قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجا فاطاعه
طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة
منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب
ما جئت به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنا دارا
وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار و
اكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من

المادبة

المادبة فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع
محمدا صلى الله عليه وسلم فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد
عصى الله فمحمد فرق بين الناس فصل واما وجوب اتباعه و
امتثال سنته والاقتداء بهديه عليه السلام فقد قال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم و
قال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله و
كلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله تسليما اي ينقادون
لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر الاية قال
محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته
وترك مخالفته في قول او فعل قال غير واحد من المفسرين بمعناه
وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط
الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك و
وعدهم الاهتداء باتباعه لان الله تعالى ارسله بالهدى ودين
الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا

اتبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة
ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه
وروى عن الحسن ان قوما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله الاية وروى ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف
وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله
فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا
طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته
لهما ورضاه بما امراه ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم
برحمته ويقال الحب من الله تعالى عصمته وتوفيقه ومن العباد
طاعة كما قال القائل تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري
في القياس بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب
مطيع ويقال محبة العبد لله تعظيمه وهيبته منه ومحبة الله
له رحمته له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه
قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان
من صفات الذات وسياتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا
بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه ثنا ابو
الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا ابو الحسن يوسف بن مغيث

الفقيه

١٥٦

الفقيه بقراءتي عليه قالا ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو حفص الجهني ثنا
ابرهيم بن موسى الجوزي ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم
عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي (السلمي نخ)
وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم و
(وزاد في حديث جابر) محدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل ضلالة في النار وفي
حديث ابي رافع (عن رسول الله صلعم) عنه صلى الله عليه وسلم لا الفين (لا اعرفن) احدكم متكئا
على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا
ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عايشة رضي الله
عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه
فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى
ثم قال ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم
بالله واشدهم له خشية وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك
بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن
وحديثي خسر الدنيا والآخرة امرتم ان تاخذوا بقولي و

يطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي با
لقران قال الله تعالى وما اتيكم الرسول فخذوه الاية وقال صلى الله
عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور
محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي صلى الله عليه وسلم
العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال صلى الله عليه وسلم
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام ان
الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد
وقال صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين
ملة وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة
قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذين انا عليه اليوم واصحابي
وعن انس قال صلى الله عليه وسلم من احيا سنتي فقد احياني
ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لبلال بن الحرث من احيا سنة من سنني قد اميتت

بعدي

بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم
شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه
مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس فصل واما
ما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه
وسيرته فحدثنا الشيخ القاضي ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن
ابي تليد الفقيه سماعا عليه ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر
ثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى
ابن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سال
عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة
الحضر في القران ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان
الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما نفعل
كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وولاة الامور بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب
الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا
تبديلها ولا النظر في راي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتدي
ومن انتصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين
ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن

الحسن عملٌ قليلٌ في سنة خيرٌ من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب
بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب
عُمر بن الخطاب بتعليم السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال اذ
ناسا يجادلونكم يعني بالقران فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم
بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحُليفة ركعتين فقال اصنعُ كما
رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي رضي الله عنه حين
قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله فقال لم اكن ادع
سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احدٍ من الناس وعنه الا
اني لست بنبيٍ ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة
خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من
خالف السنة كفر وقال ابي ابن كعب عليكم بالسبيل والسنة
فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت
عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على
السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله
الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابتها ريحٌ
شديدة فتحاتت عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما تحاتت عن
تناثرت

الشجرة

الشجرة ورقها فان اقتصادًا في سبيل الله وسنةٍ خيرٌ من اجتهاد
في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او
اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسُننهم وكتب بعض عُمّالِ
عُمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم با
لظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر رض
خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم
الله وعن عطا في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
اي الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي
ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها وقال
عُمر ونظر الى الحجر الاسود والله انك حجر لا تنفع ولا تضرُّ ولولا اني
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبِّلُكَ ما قبلتك ثم قبله
وروى عبدُالله بن عمر يُدير ناقتَه في مكانٍ فسُئل فقال لا ادري الا اني
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلتُه وقال ابو عثمان
الجنبدي من امّر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمه ومن الحميدي
امّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصُول
مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق
والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال

وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول
الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل انه قال كنت يوماً مع
جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن با
لله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزرٍ ولم اتجرد فرايت تلك
الليلة قائلاً لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة
وجعلك اماماً يُقتدى بك قلت من انت قال جبريل فصل
ومخالفة سنته وتبديل امره ضلال وبدعة متوعد من الله عليها
بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان
تُصيبهم فتنة او يُصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الاية
حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي
عليهما قالا ثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا
ابو الحسن بن مسرور الدباغ ثنا احمد بن ابي سليمن ثنا سحنون
ابن سعيد ثنا ابن القسم ثنا ملك عن العلا بن عبد الرحمن عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة و
ذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن عن حوضي رجال كما يذاد
البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا

بعدك فاقول فسحقاً فسحقاً فسحقاً وروى انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما
ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا الفين احدكم متكئاً على اريكته ياتيه الامر من امري بما امرت به
او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في
حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما
حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم
حمقاً او قال ضلالاً ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم
او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى
عليهم الاية وقال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون وقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيئاً من امره
ان ازيغ الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
الاية فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب
فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه الصلاة والسلام
اذ قرع الله تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله

واوعدهم بقوله تعالى فتربصوا حتى ياتى الله بامره ثم فسقهم
بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو على
الغسانى الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد ثنا سراج
ابن عبد الله القاضى ثنا ابو محمد الاصيلى ثنا المروزى ثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل البخارى ثنا يعقوب بن ابرهيم ثنا
ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده
والناس اجمعين وعن ابى هريرة نحوه وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم
(خصال) ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود فى
الكفر كما يكره ان يقذف فى النار وعن عمر بن الخطاب انه قال
للنبى صلى الله عليه وسلم لانت احب الى من كل شى الا من نفسى
التى بين جنبى فقال النبى صلى الله عليه وسلم لن يومن احدكم حتى
اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذى انزل عليك الكتاب لانت احب
الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى عليه السلام الان يا عمر
وقال سهل من لم ير ولاية الرسول عليه الصلاة والسلام فى جميع
الاحوال ويرى نفسه فى ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته

لان

لان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب
اليه من نفسه الحديث فصل فى ثواب محبته صلى الله عليه وسلم
حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه ثنا ابو القسم حاتم بن محمد
ثنا ابو الحسن على بن خلف ثنا ابو زيد المروزى ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان ثنا ابى ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن
سالم بن ابى الجعد عن انس ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
متى الساعة يا رسول الله فقال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من
كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكنى احب الله ورسوله قال انت
مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبى صلى الله عليه
وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولنى يدك ابايعك فناولنى يده (فقلت)
يا رسول الله انى احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ (عن)
النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس و
عن ابى ذر بمعناه وعن على رضى الله عنه ان النبى عليه السلام اخذ
بيد حسن وحسين فقال من احبنى واحب هذين واباهما وامهما كا(ن)
معى فى درجتى يوم القيمة وروى ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله لانت احب الى من اهلى ومالى وانى لاذكرك فما اصبر
حتى اجئ فانظر اليك وانى ذكرت موتى وموتك فعرفت انك اذا د(خلت)

الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا
به فقراها عليه وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه
وسلم ينظر اليه لا يطرق فقال ما بالك فقال بابي وامي اتمتع بالنظر
اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية
وفي حديث انس من احبني كان معي في الجنة فصل فيما روي
عن السلف والائمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له
حدثنا القاضي الشهيد ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن
سفين ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن
ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي
لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله
عن ابي ذر وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن
العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وعن عبدة بنت
خلد بن معدان قالت ما كان خلد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من
شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين

والانصار

١٦١

والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي
اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر رضي الله
عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي
طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي
طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس ان
تسلم احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امراة من الانصار قتل ابوها واخوها
وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل
رسول الله عليه الصلاة والسلام قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت
ارنيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل
علي بن ابي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا واباينا وامهاتنا
ومن الماء البارد على الظما وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس
فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة
الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكا بالاسحار
ياليت شعري والمنايا اطوار هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي
صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي ان

عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك يزول
عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت امرأته وا
حزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه ويروى ان امرأة
قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها
فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال
له ابو سفين بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك
نضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في
مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو
سفين ما رايت من الناس احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم احلفها بالله
ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا
حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له
وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
فصل في علامات محبته صلى الله عليه وسلم اعلم ان من احب شيئا
آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق
في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه و
اولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله و

امتثال

واطرباه

وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في
عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض
عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين
تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة واسخاط العباد في رضى الله تعالى حدثنا القاضي ابو علي
الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو
يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا ابو محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى
ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن
زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك
غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيا
سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه
الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور
فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله عليه وسلم
للذي حد في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال

صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات
محبته صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره
ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث
الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون . غداً
نلقى الاحبة محمداً وصحبه وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل
قتله وما ذكرناه في قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره
تعظيمه وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع
سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان اصحاب النبي عليه السلام بعده لا
يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من الناس بعض
منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقاً اليه ومنهم من يفعله
تهيباً وتوقيراً ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو
بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة
من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب
من يحب وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين اللهم اني
احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسين فاحب من يحبه وقال
من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما
فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي

لا تتخذوهم

١٦٣

لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل
ومن آذى الله يوشك ان ياخذه وقال في فاطمة انها بضعة مني
يغضبني ما اغضبها وقال لعايشة في اسامة بن زيد احبيه فاني
احبه وقال اية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وفي
حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئاً احب كل شيء يحبه وهذه سيرة
السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس حين راى
النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حول القصعة فما زلت
احب الدباء (القرع) من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس و
عبد الله بن جعفر اتوا سلمى وسالوها ان تصنع لهم طعاما مما كان
يعجب النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية
ويصبغ بالصفرة اذ راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحو
ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة
من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته
قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد
الله ورسوله وهؤلاء اصحابه صلى الله عليه وسلم قد قتلوا احبابهم

وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله
ابن أبي ابن سلول لو شئت لاتيتك براسه يعني ابن سلول ومنها
ان يحب القران الذي اتى به صلى الله عليه وسلم وهدى به واهتدى
وتخلق به حتى قالت عايشة كان خُلقُه القران وحبه للقران تلاوته
وفهمه والعمل به ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل
ابن عبد الله علامة حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب القران حب
النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي عليه الصلاة والسلام حب
السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض
الدنيا الا يدخر منها الا زادا وبلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود لا
يسئل احد عن نفسه الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله
ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على
امته ونصيحته لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم
كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن علامة
تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد
قال صلى الله عليه وسلم لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني
منكم اسرع من السيل من اعلا الوادي او الجبل الى اسفله وفي
حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله

اني

اني احبك قال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات قال
ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد
بمعناه فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها
اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم
وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع في الحقيقة الى اختلاف
مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفين المحبة اتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم كان التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
الاية وقال بعضهم محبة الرسول عليه السلام اعتقاد نصرته
والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفتها وقال بعضهم المحبة
دوام الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق
الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما
احبه ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر
العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة
المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه
بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة
اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مايل اليها لموافقتها له او
لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة

كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور عنهم السير
الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مايل الى التشغف بامثال
هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرى
ما يؤدى الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم وهلاك النفوس او
يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه عليه
فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا
نظرت هذه الاسباب كلها في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت انه
عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلثة الموجبة للمحبة اما جمال
الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل
فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على
امته فكذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته بهم
ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم
به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه ويتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاى احسان اجل
قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واى افضال
اعم منفعة واكثر فايدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان

ذريعتهم

ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح و
الكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد
لهم والموجب لهم البقاء الدايم والنعيم السرمد فقد استبان
لك انه صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه
من صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضة الاحسان
وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة
او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة
التاذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا
يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن
سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته او قاض بعيد الدار لما يشاد
من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال
احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته عليه
السلام من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن
بعض اصحابه انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم

فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولا
على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على
المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا

لله الاية ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية
حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه ثنا حسين بن محمد ثنا يوسف بن
عبد الله ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود ثنا احمد
ابن يونس ثنا زهير ثنا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم
الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان
الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة
المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ورسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمن البستي النصيحة
كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها
بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت
العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف النصح
فعل الشيء الذي به الصلاح والملائمة ماخوذ من النصاح وهو
الخيط الذي يخاط به الثوب قال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله
تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية عن علم ووصفه بما هو اهله
وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه
والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه
وتحسين تلاوته والتخشع عندها والتعظيم له وتفهمه والتفقه

فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله
عليه السلام التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه
قاله ابو سليمن وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا
واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه
الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابرهيم اسحق التجيبي نصيحة رسول الله
صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها
والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها و
الى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الآجري وغيره النصح له
يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه
له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له
وبذل النفوس والاموال دونه كما قال الله تعالى رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام
التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه
في شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف
عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف
اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة

احد ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو
القسم القشيري انه عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير
الثوار المعروف بالصفار رؤى في المنام فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت
على جنودي فاعجبني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما
النصيحة لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه و
امرهم وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا
عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم و
تضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين
ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول
والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم و
ستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم الباب الثالث
في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى الله تعالى
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ليؤمنوا بالله
ورسوله ويعزروه ويوقروه وقال يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله ويا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم

دون

فوق صوت النبي الثلاث الايات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه
قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه
وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه
بزاءين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب
بسبقه الكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن
عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا و
نهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا
بشيء من ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه
به الى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري
ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع
عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله
في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم لفعلكم ثم
نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضكم
لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال
ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه
باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف

مايجب ان ينادى به يا رسول الله يا نبى الله وهذا كقوله فى الاية الاخرى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين
قال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط
اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية فى وفد
بنى تميم وقيل فى غيرهم اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا
محمد اخرج الينا فذمهم الله بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون
وقيل نزلت الاية الاولى فى محاورة كانت بين ابى بكر وعمر رضى الله عنهما
بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت
اصواتهما وقيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبى
صلى الله عليه وسلم فى مفاخرة بنى تميم وكان فى اذنيه صمم فكان
يرفع صوته فنزلت هذه الاية فلما نزلت هذه الاية اقام فى منزله
وخشى ان يكون حبط عمله ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا
نبى الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول
وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما
ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة
وروى ان ابا بكر رضى الله عنه لما نزلت هذه الاية قال والله
يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخى السرار وان عمر كان اذا

حدثه حدثه كاخى السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين
يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات فى غير بنى تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن
عسال بينا النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر اذ ناداه اعرابى بصوت
له جهورى ايا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد
نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
راعنا قال بعض المفسرين هى لغة كانت فى الانصار نهوا عن قولها
تعظيما للنبى صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا
نرعك فنهوا عنها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته
لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها
للنبى صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهى المسلمون عن قولها قطعا
للذريعة ومنعا للتشبه بهم فى قولها لمشاركة اللفظ وقيل غير
هذا

فصل

فى عادة الصحابة رضى الله عنهم فى تعظيمه
صلى الله عليه وسلم وتوقيره واجلاله حدثنا القاضى ابو على الصدفى
وابو بحر الاسدى بسماعى عليهما فى اخرين قالوا حدثنا ابو عمر

ثنا احمد بن حسين ثنا محمد بن عيسى ثنا ابرهيم بن سفين ثنا مسلم
ثنا محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور قالوا ثنا الضحاك
ابن مخلد انا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة
المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو
قال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل
في عيني منه وما كنت اطيق ان املاء عيني منه اجلالا له ولو سئلت
ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املاء عيني وروى الترمذي عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين
والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه
بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما و
يتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير
وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى
وانه لا يتوضاء الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا
يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها

وجوههم

١٦٩

وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا
امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما
يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش
اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه
واني والله ما رايت ملكا في قوم قط يعظمه اصحابه ما يعظم مثل
محمد اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون
ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمن في الطواف
بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية ابى
وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله
عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه عليه السلام ويوقرونه فسأله فاعرض
عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى
نحبه وفي حديث قيلة فلما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا
القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث
المغيرة كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير
وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن الامر فاوخر سنين من هيبته فصل واعلم ان حرمة النبي
صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال
حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه وسنته
وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته
قال ابو ابرهيم التجيبي واجب على كل مومن متى ذكره او ذُكر عنده ان
يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله
بما كان ياخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به
قال القاضي ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا
الماضين رضي الله عنهم اجمعين قال القاضي ابو عبد الله محمد بن
عبد الرحمن الاشعري وابو القسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد
فيما اجازونيه قالوا انا ابو العباس احمد بن دلهاث ثنا ابو الحسن علي
ابن فهر ثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج ثنا ابو الحسن عبد الله بن
المنتاب ثنا يعقوب بن اسحق بن اسرايل ثنا ابن حميد قال ناظر ابو
جعفر امير المومنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له مالك يا امير المومنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان
الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله

الاية

الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان
حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله
استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام
الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تع
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقال مالك وقد سئل عن ايوب
السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين
فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم
يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك
فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد
ابن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا
يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة
والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما
رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة
ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما

مصليا واما صامتا واما يقرأ القران ولا يتكلم فيما لا يعنيه
وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد
الرحمن بن القسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فننظر الى لونه كأنه
نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله الزبير فاذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت
الزهري وكان من اهناء الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى
الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت اتى صفوان بن
سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروى عن
قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما
كثر على ملك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي وحرمته حيا كحرمته ميتا سواء وكان عبد الرحمن بن مهدي
اذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكون وقال لا
ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتأول انه يجب له من الانصات
عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله فصل في سيرة

السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم و
سنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا
ابو بكر البرقاني وغيره قالوا حدثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا علي بن
مبشر ثنا احمد بن سنان القطان ثنا يزيد بن هرون ثنا المسعودي
عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة
فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث
يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه
كرب حتى رايت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله
او فوق ذا او ما دون ذا او ما قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه
وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابرهيم بن
عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي
حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت
ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قائم وقال
مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع
فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت
ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع
عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله

عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث
بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا
له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان
مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ
وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا اتى الناس
مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون
الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث
دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجة و
تعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها
بالكسر سرير العروس قال ابن الاثير
وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن ابي اويس فقيل لمالك في
ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
احدث به الا متمكنا على طهارة قال وكان يكره ان يحدث في الطريق
او وهو قائم او مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء

ونحوه عن قتادة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث على غير وضوء
تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرأ حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له
يا ابا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا
لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما
مع مالك الى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال كنت في
عيني اجل من ان تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر
بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضي احق من اذب وذكر ان هشام
ابن الغازي سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين
سوطا ثم اشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني
سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث
لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران **فصل** ومن توقيره صلى الله
عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المومنين ازواجه كما حض
عليه السلام وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وقال تعالى
وازواجه امهاتهم **اخبرنا** الشيخ ابو محمد بن احمد بن العدل من كتابه

وكتبت من اصله ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام

القسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي ثنا حاتم هو

ابن عقيل ثنا يحيى هو ابن اسمعيل ثنا يحيى هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه

عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلثا قلنا لزيد

من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال

صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب

الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال صلى الله

عليه وسلم معرفة محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط

والولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض العلما معرفتهم

هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك

عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة

لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وذلك

في بيت ام سلمة دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا

وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء

اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن

ابي وقاص لما نزلت اية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا

وحسنا

وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال النبي

صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي

من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك

الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل

الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وانما عم الرجل

صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عمي مع ولدك فجمعهم وجللهم

بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من

النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت امين امين

وكان يأخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فا

حبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم

في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله

عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب

الله من احب حسنا وحسينا وقال من احبني واحب هذين و

اباهما وامهما كان معي في درجتي يوم

القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال

قدموا قريشا ولا تقدموها وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمة لا

تؤذيني في عايشة وعن عقبة بن الحرث رايت ابا بكر وجعل الحسن على

عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي
يضحك وروي عن عبد الله ابن حسين بن حسن قال اتيت عمر بن عبد
العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتبه
فاني استحي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت
على جنازة امه ثم قربت له بغلة ليركبها فجاءه ابن عباس فاخذ
بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال
هكذا امرنا ان نفعل باهل نبينا ورأى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد
فقال ليت هذا عندي فقيل هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر رأسه
ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه
وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولاها يمسك بيدها
فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه
ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك
لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في
ثلاثة الاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمس مائة قال
عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له
لان

لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك
واسامة احب اليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعه يشبه برسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه
وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة النبي صلى الله عليه
وسلم وروي ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمن ونال
منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال
اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت
ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحي منه ان يدخل بعض
اله النار بسببي وقيل ان منصورا اقاده من جعفر فقال اعوذ بالله
والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني
ابو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب الي
من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال
اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا واي

ابنة اعظم من ذهاب ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر
وعمر رضى الله عنهما يزوران ام ايمن مولاة النبى صلى الله عليه وسلم
ويقولون كان رسول الله صلى الله عليه يبسط لها رداءه ويقضى
حاجتها فلما توفى وفدت على ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فصنعا
بها مثل **فصل** ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه
وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم
والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم
والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة
والمبتدعين القادحة فى احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من
مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم
اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص
عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وجميل سيرهم ويسكت
عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم واذا ذكر اصحابى فامسكوا
قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء
بينهم الى اخر السورة وقال والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار الاية وقال لقد رضى الله عن المومنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا

القاضى ابو على ثنا ابو الحسين وابو الفضل قالا ثنا ابو يعلى ثنا
ابو على السنجى ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذى ثنا الحسن بن الصباح
ثنا سفين بن عيينة عن زايدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن
حراش عن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا با
لذين من بعدى ابى بكر وعمر وقال اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم قال انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
اصحابى كمثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله
فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن
ابغضنى فببغضى ابغضهم ومن اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد
اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابى
فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال
من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل
الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابى فامسكوا وقال فى
حديث جابر ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين سوى النبيين
والمرسلين واختار منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم
خير اصحابى وفى اصحابى كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبنى
ومن ابغض عمر فقد ابغضنى قال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة

وسبّهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاؤا
من بعدهم الاية وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى
ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا
فيه نجا الصدق وحب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد
اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن احب
عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم
فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد
له عمل صالح الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي
حديث خلد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس
اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن
علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف
فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية
ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم
احد منهم فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن
عمران بن عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس

باصحاب

باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره
وكاتبه وامينه على وحي الله واتى النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل
فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال صلى الله
عليه وسلم في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم
وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه
الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى
الله منه يوشك ان ياخذه وعنه صلى الله عليه وسلم من حفظني
في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي
ورد على الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم
يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم
مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف
الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع وبذلك امره
الله وامر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة
من عاداهم وروى عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم الا له شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع
له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول
صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره

ومن اعظامه واكباره واعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده
وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه السلم
او عرف به وروى عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة
في مقدم رأسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا
تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خلد بن الوليد شعرات من شعره
صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها
شدة انكر عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها
فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعر النبي صلى الله
عليه وسلم لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين ابن عمر واضعا
يديه على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه
ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي
من الله تعالى ان اطاء تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر
دابة وروى عنه انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي
امسك منها دابة فاجابه الشافعي بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو
عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلوية الزاهد وكان من الغزاة
الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني

ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال
تربة المدينة ردية بضرب ثلثين درة وامر بحبسه وكان له قدر و
قال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال صلى الله عليه وسلم في المدينة
من احدث فيها حدثا او آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكى ان جهجاها الغفاري
اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره
على ركبتيه فصاح به الناس فاخذته الآكلة في ركبتيه فقطعها ومات
قبل الحول وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ
مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة
زايرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا
ولما راينا رسم من لم يدع لنا ۰ فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا على الاكوار نمشي كرامة ۰ لمن بان عنه ان نلم به ركبا
وحكى عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم انشا
يقول متمثلا رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ۰ قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا ۰ فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطي الثرى ۰ فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال
العبد الآبق يأتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي
ما مشيت على قدمي قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل
وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس
والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها
من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس ايات ومساجد
وصلوات ومشاهد الخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات
ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين
ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها
ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها
ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها فللمؤلف رحمه الله

يا دار خير المرسلين ومن به   هدي الانام وخص بالآيات
عندي لاجلك لوعة وصبابة   وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد ان ملأت محاجري   من تلكم الجدرات والعرصات
لأعفرن مصون شيبي بينها   من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها   ابدا ولو سحبا على الوجنات

لكن سأهدي من حفيل تحيتي   لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة   تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات نوامي   ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلوة والسلام وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
الاية قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي
وقيل ان الله تعالى يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم وملائكته يدعون
له وقال المبرد اصل الصلوة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة
رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى وقد ورد في الحديث صفة
صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم
ارحمه فهذا دعاء قال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون
النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي عليه الصلوة والسلام تشريف
وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند
الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء قال القاضي ابو الفضل وقد
فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين
لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم
الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت



هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا
عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم
عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة
وجوه احدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كا
اللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول له
وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى
المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما فصل اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلاة عليه
وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو
جعفر الطبري ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع
ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج و
مأثم ترك الفرض له مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك
فمندوب اليه مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله
قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك
واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مرة في دهره

مع

مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله تعالى
على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت
معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو
محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة
قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم
من اهل العلم الى ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض في الجملة
بعقد الايمان لا تتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة
في عمره سقط عنه الفرض وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي
امر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم هو في الصلاة قالوا واما
في غيره فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلاة فحكى الامامان
ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين و
المتاخرين من علماء الامة على ان الصلاة على النبي عليه السلم في
التشهد غير واجب وشذ الشافعي فقال في ذلك من لم يصل على
النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الاخير وقبل السلام
فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له
في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسألة
عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف

فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر
يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية على مذهب
مالك واهل المدينة وسفين الثوري واهل الكوفة من اصحاب
الرأي وغيرهم وهو قول جمل اهل العلم وحكي عن مالك وسفيان
انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء وشذ
الشافعي فاوجب على تاركها في الصلوة الاعادة واوجب اسحق
الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد
عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال
ابو محمد بن زيد ليست من فرائض الصلاة وقاله محمد بن عبد الحكم و
غيره وحكى محمد بن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها
فريضة في الصلوة كقول الشافعي وحكى ابو يعلى العبدي المالكي
عن المذهب فيها ثلثة اقوال في الصلوة الوجوب والسنة والندب
وقد خالف الخطابي وغيره من اصحاب الشافعي في هذه المسئلة قال
الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء الا
الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض
الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد

شنع

شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود
الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم
وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة
وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري
وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا
التشهد كما يعلمنا السورة من القران ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن
عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب
وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلوة لمن لم يصل
علي قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف
اهل الحديث وفي حديث ابي جعفر عن ابي مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل
منه قال الدارقطني الصواب انه من قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين
لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل
بيته لرايت انها لا تتم فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلاة
والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد
الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء

القاضي ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه ثنا الامام ابو القسم
البلخي ثنا الفارسي عن ابي القسم الخزاعي عن ابي الهيثم عن ابي عيسى
الحافظ ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا حيوة
بن شريح حدثني ابو هاني الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه
سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا
يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم عجل هذا دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم
فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ليدع بما شاء ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو اصح
وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء والارض
لا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
على رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد
وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسال الله شيئا فليبدا بمدحه
والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم
ليسال فانه احرى ان ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع

متاعه

متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضأ والا اهراقه
ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه واخره وقال ابن عطاء
للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي
وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق
اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة
والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته
الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين لا يرد وفي
حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة على
صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال
في اخره واستجب دعاي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فتقول اللهم اني اسألك ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك
افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن
الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان و
وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره
سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على

طريق الاحتساب وطلب الثواب وقال اصبغ عن ابن القسم موطنان
لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله
محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن له تسمية
له مع الله وقال اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلوة على النبي صلى
الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي
صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة و
ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان
وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله
ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم عليه تسليما
ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل
ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت
هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام
على رسول الله فاذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين وعن علقمة اقول اذا دخلت المسجد اقول السلام

عبد

عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد
ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج ابن شعبان
لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي
بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث
اخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه الصلاة
على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلاة
التي مضى عليها عمل الامة ولم ينكرها الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر
واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عليه عمل الناس في اقطار
الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال صلى الله عليه وسلم من
صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك
الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد
الصلاة حدثنا ابو القسم خلف بن ابرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله
وغيره حدثتني كريمة بنت احمد ثنا ابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا
محمد بن اسمعيل ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن
عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى

احدكم فليقل التحيات لله والطيبات السلام عليك ايها النبي و
رحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا
قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن
التسليم عليه صلى الله عليه وسلم وسنته اول التشهد وقد روى
مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان
يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام
قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عايشة وابن عمر انهما كانا يقولان
عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل
العلم ان ينوي الانسان حين سلامه على كل عبد صالح في السماء
والارض من الملائكة وبني آدم والجن قال مالك في المجموعة واحب
للماموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم فصل في
كيفية الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم حدثنا ابو اسحق
ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه ثنا القاضي ابو الاصبغ
ثنا ابو عبد الله بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره ثنا ابو عيسى
ثنا عبيد الله ثنا يحيى ثنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه

عن عمرو

٨٣

عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم
قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد
وازواجه وذريته كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وازواجه
وذريته كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك
عن ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما
صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على ابراهيم في
العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن
عجرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وبارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد
عقبة بن عمرو وفي حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد
وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي
الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا ثنا ابو عبد الله بن سعدون
الفقيه ثنا ابو بكر المطوعي ثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن دارم
الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور
عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه
الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال عدهن في

يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدى جبريل
وقال هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم
بارك على محمد وعلى آل ابرهيم كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم
انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابرهيم
وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما
تحننت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على
محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد
وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال
الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبى و
ازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابرهيم
انك حميد مجيد وفى رواية زيد بن خارجة الانصارى سالت النبى
صلى الله عليه وسلم كيف نصلى عليك فقال صلوا على واجتهدوا
فى الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
ابرهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندى قال كان على يعلمنا
الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم اللهم داحى المدحوات وبارى
المسموكات اجعل شرايف صلواتك ونوامى بركاتك ورافة تحننك

على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن
الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك
مستوفزا فى مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على
نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه به
هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم بموضحات الاعلام و
نايرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن
علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك با
لحق رحمة اللهم افسح له فى عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك
مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول
اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم
له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضى المقالة
ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا فى الصلوة
على النبى صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية
لبيك اللهم ربى وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة
المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح
لك من شئ يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد
المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير

الداعي باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود
ابن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد
المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون
والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم
انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم
وال ابرهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان
يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد
وآله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره
وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا
ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم
تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الاخرة
والاولى كما اتيت ابرهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان
يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه واعط
محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك له واعط محمدا افضل ما
انت مسئول له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان يقول
اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه

فانكم

فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل
صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير
ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون
والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابرهيم
انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل
ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد وما ينبغي في تطويل الصلوة
وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما
قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي
تشهد علي رضي الله عنه السلام على نبي الله السلام على انبياء الله
ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام
علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم
اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي
وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ح في هذا الحديث عن علي رضي
الله الدعاء للنبي بالغفران وفي حديث الصلاة عليه ايضا

الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الاحاديث المعروفة المرفوعة
وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعا للنبي صلى الله عليه
وسلم بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن ابى زيد فى الصلوة على
النبي عليه السلام اللهم ارحم محمد وآل محمد كما باركت على ابرهيم وال
ابراهيم ولم يأت هذا فى حديث صحيح وحجته قوله فى السلام السلام
عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته وان الصلوة عندهم بمعنى الرحمة
من الله فصل فى فضيلة الصلاة على النبى والتسليم عليه و
الدعاء له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ثنا القاضى يونس
ابن معيث ثنا ابو بكر بن معاوية ثنا النسائى انا سويد بن نصر انا عبد الله
عن حيوة بن شريح اخبرنى كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير
مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا
على فانه من صلى على صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الى الوسيلة فانها
منزلة فى الجنة لا تنبغى لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن
سال لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى عن انس بن مالك ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلاة صلى الله عليه عشر
صلوات صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع

له عشر درجات وفى رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس
عنه عليه السلام ان جبريل نادانى فقال من صلى عليك صلاة صلى
الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف
عنه عليه السلام لقيت جبريل فقال انى ابشرك ان الله يقول من سلم
عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابى
هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابى طلحة وعن زيد بن
الحباب قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل
على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتى
وعن ابن مسعود اولى الناس بى يوم القيمة اكثرهم على صلاة
ابى هريرة عنه عليه السلام من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر
له ما بقى اسمى فى ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبى صلى الله
عليه وسلم يقول من صلى على صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى عليه
فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابى بن كعب قال كان النبى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس
اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاءت الموت بما فيه
فقال ابى بن كعب يا رسول الله انى اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك
من صلاتى قال ما شئت قال الربع قال ما شئت قال الثلث قال ما شئت

وان زدت فهو خير قال النصف قال ماشئت وان زدت فهو خير
قال الثلثين قال ماشئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله
فاجعل صلاتي كلها لك قال اذاً تكفى ويغفر لك ذنبك وعن ابي
طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته
ما لم ار قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا اتاني
ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك
يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم
رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة و
الفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته
يا ارحم الراحمين حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن ابي
وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا
وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من سلم على عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض الاثار
ليردن على اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم على وفي حديث
اخر ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم على صلاة

وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه
افضل من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل
ابن خيرون وابو الحسن الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو
علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابرهيم
الدورقي ثنا ربعي بن ابرهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن
ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم انف رجل دخل
رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه
الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما
وفي حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال
آمين ثم صعد فقال امين ثم صعد فقال امين فساله معاذ عن
ذلك فقال ان جبريل اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل
عليك فمات فدخل النار فابعده الله تعالى قل امين فقلت امين
وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك
ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام

انه قال البخيل كل البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر
ابن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذُكرت
عنده فلم يصل علي اخطاء به طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده
فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال قال ابو القسم صلى الله عليه وسلم
ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا اسم الله ويصلوا
على النبي صلى الله عليه وسلم الا كانت عليهم من الله تِرَةٌ ان شاء
عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلاة علي
نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه السلام من الجفاء ان اذكر
عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلام ما جلس
قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى
عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى
الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون
من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا
صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزى عنه ما
كان في ذلك المجلس فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ

صلاته

٨٨

صلاة من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله
التميمي ثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر الحافظ بن عبد المؤمن ثنا ابن داسة
ثنا ابو داود بن عوف ثنا المقرئ ثنا حيوة بن شريح عن ابي صخرة ثنا
حميد بن زياد عن يزيد عن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى
ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا
بُلِّغته وعن ابي مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني
والصواب ابن مسعود صح
عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر رضي الله عنهما اكثروا
من الصلاة على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية
فان احدا لا يصلي علي الا عُرضت علي صلاته حين يفرغ منها وعن
الحسن عنه عليه السلام حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم
تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم
عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي
صلى الله عليه وسلم عُرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت
المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم

قال الشيخ تقي الدين السبكي المراد برد الروح [illegible]

فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا من الصلاة على
يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة على وعن سليمن بن سحيم رايت
النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين
يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم
وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا
من الصلاة على في الليلة الزهراء (ليلة الجمعة) او اليوم الازهر (اي يوم الجمعة) فانهما يؤديان
عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا
حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا
وكذا فصل في الاختلاف في الصلوة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم
السلام قال القاضي وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز
الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس انه لا يجوز
على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلاة على احد
الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض
شيوخي رحمهم الله مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء
سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال
مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي
لنا ان نتعدا ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا باس بالصلاة

على

على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في
حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى
ازواجه وعلى اله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي روي عن
ابن عباس كراهية الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه
يقول ولم يستعمل فيما مضى وقد روي عن عبد الرزاق قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم
كما بعثني والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب
بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث
صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية
وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها الاية وقال
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم
صل على آل فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه
وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل الاتباع
الرهط والعشيرة وقيل ال الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين
حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه
وسلم من آل محمد قال كل تقي ويجي على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد

محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته على النبي اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي با
لنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا
مثل قوله عليه السلام لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد
من مزامير داود وفي حديث ابي حميد الساعدي في الصلاة
اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث ابن عمر انه كان
يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في
الموطأ من رواية يحيى الاندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي
بكر وعمر وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا با
لغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين
يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضي والذي ذهب
اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله
وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه
لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء
توقيرا لهم وتعزيرا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس
والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه
وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه غيره

كما امر الله تعالى بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة
وغيرهم بالغفران والرضى كما قال الله تعالى يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال والذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما
قال ابو عمران انما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة
فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فيجب
مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الآل والازواج
مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص
قالوا وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى
الدعاء والمواجهة وليس فيها معنى التعظيم والتوقير وقد قال
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب
ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض هذا اختيار
الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا فصل في حكم زيارة
قبره عليه السلام وفضيلته من زاره وسلم عليه وكيف يسلم و
يدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة من المسلمين مجمع عليها وفضيلة

مُرَغَّبٌ فيها وروى عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري
وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعًا
يوم القيمة وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في
حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد
اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه السلام
لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله صلى الله عليه وسلم كنت
نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد اطلق
اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزاير افضل من المزور وهذا
ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زاير بهذه الصفة وليس عمومًا وقد ورد
في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه سلم
والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله
عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله عليه
السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله
على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر
والتشبه بفعل اولئك قطعًا للذريعة وحسمًا للباب والله اعلم قال
اسحق بن ابرهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة و

والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك
برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه
والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل فيه بالوحي عليه ومن
عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال
ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلى هذه الاية ان الله وملائكته يصلون
على النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه
ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي
سعيد المهري قال قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال
اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فاقرئه مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال
بعضهم رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف
فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله
عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو و
يسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند
قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي وقال ابن ابي

ملیکه من احب ان یقوم وجاه النبی صلی الله علیه وسلم فلیجعل
القندیل الذی فی القبلة عند القبر علی رأسه وقال نافع وکان ابن
عمر یسلم علی القبر رایته مائة مرة واکثر یجئ الی القبر فیقول السلام علی
النبی صلی الله علیه وسلم السلام علی ابی بکر السلام علی ابی ثم ینصرف
وفی الموطاء من روایة یحیی بن یحیی اللیثی انه کان یقف علی قبر النبی صلی
الله علیه وسلم فیصلی علی النبی صلی الله علیه وسلم وعلی ابی بکر وعمر
وعند ابن القسم والقعنبی ویدعوا لابی وعمر قال مالك فی روایة
ابن وهب یقول المسلم السلام علیك ایها النبی ورحمة الله وبرکاته
قال فی المبسوطة ویسلم علی ابی بکر وعمر قال القاضی ابو الولید الباجی
وعندی انه یدعوا للنبی صلی الله علیه وسلم بلفظ الصلاة ولابی بکر وعمر
کما فی حدیث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبیب ویقول اذا دخل مسجد
الرسول صلی الله علیه وسلم بسم الله والسلام علی رسول الله علیه
السلام السلام علینا من ربنا وصلی الله وملائکته علی محمد اللهم اغفر لی
ذنوبی وافتح لی ابواب رحمتك وجنتك واحفظنی من الشیطان الرجیم
ثم اقصد الی الروضة وهی ما بین القبر والمنبر فارکع فیها رکعتین قبل
وقوفك بالقبر تحمد الله فیها وتسأله تمام ما خرجت الیه والعون علیه
وان کانت رکعتاك فی غیر الروضة اجزتاك وفی الروضة افضل وقد

قال

قال علیه السلام ما بین بیتی ومنبری روضة من ریاض الجنة و
منبری علی ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلی
علیه وتثنی بما یحضرك وتسلم علی ابی بکر وعمر وتدعو لهما واکثر
من الصلاة علی النبی صلی الله علیه وسلم باللیل والنهار ولا تدع ان
تأتی مسجد قباء وقبور الشهداء قال مالك فی کتاب محمد ویسلم علی النبی
صلی الله علیه وسلم اذا دخل وخرج یعنی فی المدینة وفیما بین ذلك و
قال محمد واذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وکذلك من خرج
مسافرا وروی ابن وهب عن فاطمة بنت النبی صلی الله علیه وسلم ان النبی
صلی الله علیه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل علی النبی صلی الله علیه
وسلم وقل اللهم اغفر لی ذنوبی وافتح لی ابواب رحمتك واذا خرجت
فصل علی النبی صلی الله علیه وسلم وقل اللهم اغفر لی ذنوبی وافتح
لی ابواب فضلك وفی روایة اخری فلیسلم مکان فلیصل فیه
ویقول اذا خرج اللهم انی اسئلك من فضلك وفی اخری اللهم
احفظنی من الشیطان وعن محمد بن سیرین کان الناس یقولون
اذا دخلوا المسجد صلی الله وملائکته علی محمد السلام علیك ایها
النبی ورحمة الله بسم الله دخلنا وباسم الله خرجنا وتوکلنا علی الله
وکانوا یقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة علیها السلام کان

كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد
وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله و
سمى وصلى على النبي عليه السلام وذكر مثله وفي رواية بسم الله
السلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخل المسجد قال اللهم افتح ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك
وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم
وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل
المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء
وقال فيه ايضا لا باس لمن سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له
فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون
ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة
والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني
هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه
الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها
انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال
ابن القسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوا اتوا القبر

فسلموا

١٦٣

فسلموا قال وذلك رايي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء
لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها
من القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا
يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد و
قال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن
وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي
العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
واحب مواضع النفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود
المخلق واما في الفريضة والتقدم الى الصفوف والنفل فيه للغرباء
احب الي من النفل في البيوت فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة
فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة
قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو فقال مسجدي
هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم
وعن ابن عباس انه مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتي
عليه ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن المومن

ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود ثنا مسدد ثنا سفين عن الزهري
عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا
والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار في الصلاة والسلام على النبي
صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم
وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك
سمع عمر بن الخطاب صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال
رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين ان مسجدنا لا يرفع فيه
الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت
ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك كله
اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء
كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل
وقال محمد يعني ابن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص به
المساجد برفع الصوت وقد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد
الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه عليه السلام

صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام
قال القاضي رحمه الله اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على
اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه
وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة
في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة في ساير المساجد
بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن
عمر بن الخطاب صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه
فتاتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بتسع مائة وعلى
غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو
قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة
الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب
مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث
المتقدم على ظاهره وان الصلاة في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث
عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه وصلوة في المسجد الحرام افضل من
الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروى قتادة مثله فياتي فضل الصلوة

فى المسجد الحرام على هذا على الصلوة فى سائر المساجد بمائة الف
ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضى ابو الوليد
الباجى الذى يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة ولا يعلم منه حكمها
مع المدينة وذهب الطحاوى الى ان هذا التفضيل انما هو فى صلوة
الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك فى النافلة ايضا قال
وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وذكر عبد الرزاق
فى تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام
ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومثله عن ابى هريرة وابى
سعيد وزاد ومنبرى على حوضى وفى حديث اخر منبرى على ترعة
من ترع الجنة قال الطبرى فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت
بيت سكناه على الظاهر مع انه روى ما بينه وبين حجرتى ومنبرى
والثانى ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم فى هذا الحديث
كما روى بين قبرى ومنبرى قال الطبرى واذا كان قبره فى بيته اتفقت
معانى الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره عليه السلام فى
حجرته وهو بيته وقوله ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه منبره بعينه
الذى كان فى الدنيا وهو اظهر والثانى ان يكون له هناك منبر والثالث
ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض

ويوجب

١٩٧

ويوجب الشرب منه قاله الباجى وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل
معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلاة فيه يستحق
ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف الثانى ان تلك
البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون فى الجنة بعينها قاله الداودى
وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى المدينة
لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا
يوم القيمة وقال فيمن يتحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا
يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها و
قال لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه
عنه عليه السلام من مات فى احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه
الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفى طريق اخر بعث من
الامنين يوم القيمة وروى ابن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة
فليمت بها فانى اشفع لمن يموت قال تعالى ان اول بيت وضع للناس
للذى ببكة الى قوله امنا قال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل كان
يأمن من الطلب من احدث حدثا ولجأ اليه فى الجاهلية وهذا مثل
قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكى
ان قوما اتوا سعدون الخولانى المستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا

واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال
لعله حج ثلث حجج قالوا قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج
ثانية داين ربه ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما
نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من
بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام قال
ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك
عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر
له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيمة من الامنين قرات
على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله قلت له حدثك ابو العباس العذري
ثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي ثنا الحسن بن رشيق سمعت
ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت
الحميدي سمعت سفين بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار سمعت
ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا
احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي
وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من عمرو الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت

الملتزم ما بين الحجر الاسود وباب الكعبة صح

الله

١٩٦

الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي
قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن رشيق الا استجيب
لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة قال العذري
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي
اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا قد دعوت الله فيه باشياء كثيرة
استجيب لي في بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل
وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام
الفائدة والله الموفق للصواب برحمته القسم الثالث فيما يجب
للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع
او يصح من الاحوال البشرية ان تضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل الاية وقال ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله وامه صديقة كانا ياكلان الطعام
وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم
اله واحد فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء من البشر ارسلوا الى

البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم و
مخاطبتهم ومخالطتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
اى لما كان الا فى صورة البشر الذين يمكنكم مخاطبتهم اذ لا يقوى
مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل لو كان
فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا اى لا يمكن فى سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او
من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل
فالانبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره
ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه
وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم و
بنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر
من الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية و
ارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة
بالملاء الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات
لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت
بواطنها خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة
ورؤيتهم ومخالطتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر

ولوكانت

ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف
صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم
من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر
ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام لو
كنت متخذا من امتى خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة
الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناى ولا ينام
قلبى وقال انى لست كهيئتكم انى اظل يطعمنى ربى ويسقينى فبواطنهم
منزهة عن الآفات مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه جملة
لن نكتفى بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما نأتى
به بعد هذا فى البابين بعون الله تعالى وهو حسبى ونعم الوكيل

الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا
وسائر الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين قال القاضى ابو الفضل
اعلم ان الطوارى من التغيرات والآفات على احاد البشر لا يخلو ان
تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام
او تطرأ بقصد واختيار وكله فى الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم
المشايخ بتفصيله الى ثلثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل
بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار

وبغير الاختبار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وان
كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين
القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من
الافات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان
شاء الله تعالى فيما يأتي من التفاصيل ان شاء الله تعالى فصل
في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا
الله وإياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله و
صفاته والايمان به وبما اوحي فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم و
اليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك والشك والريب فيه
والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع
المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود الانبيا
سواه ولا تعترض على هذا بقول ابرهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي اذ لم يشك ابرهيم في اخبار الله تعالى باحياء الموتى ولكن اراد
طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول
بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني ان
ابرهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابة دعوته
بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله اولم تؤمن اي الم تصدق بمنزلتك

مني

مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث انه سال ربه زيادة يقين
وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية
قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز
في النظريات فاراد الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من
علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن
عبد الله سال كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله
الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من
ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على
طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن
هذه الامنية الوجه السادس انه ارى من نفسه الشك وما شك
لكن ليجاوب فيزداد قربة وقول نبينا عليه السلام نحن احق بالشك
من ابرهيم نفي لان يكون ابرهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة
ان تظن هذا بابرهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو
شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد
امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان
حملت قصة ابرهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى
قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن

الكتاب من قبلك الايتين فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك
ما ذكر فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات شك
النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز
عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم و
لم يسال ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين على هذا واختلفوا
في معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك الاية قالوا
وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله قل يا ايها الناس ان
كنتم في شك من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله
عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد
غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن
العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو عليه
السلام كان المكذب فيما يدعوا اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا
كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله تعالى الرحمن
فاسئل به خبيرا المامور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسال النبي
صلى الله عليه وسلم ليسال النبي صلى الله عليه وسلم والنبي هو الخبير
المسؤل لا المستخبر السائل وقال ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلى

الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه من
اخبار الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى
واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية المراد به المشركون والخطاب
مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل معناه سلنا عمن
ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتداء اجعلنا من دون
الرحمن الى اخر الاية على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر
النبي صلى الله عليه وسلم ان يسال الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك
فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا اسال قد
اكتفيت قاله ابن زيد وقيل اسئل امم من قد ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد
وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي
قبله اعلامه بما بعث به الرسل وانه تعالى لم ياذن في عبادة غيره لاحدا
ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم ما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفا
وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك
وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم
اي قل لمن امترى يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الاية
افغير الله ابتغي حكما الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك

غيره وقيل هو تقرير كقوله انت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من
دون الله وقد علم الله انه لم يقل وقيل معناه ما كنت فى شك فسل تزدد
طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك
وفضلناك به فسلهم عن صفتك فى الكتب ونشر فضائلك وحكى
عن ابى عبيده ان المراد ان كنت فى شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى
قوله حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف
قلنا المعنى فى ذلك ما قالته عايشة رضى الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك
الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استياسوا ظنوا ان من وعدهم
النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير فى
ظنوا عايد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس
والنخعى وابن جبير وابى عبيدة وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قراء
مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق
بمنصب العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد فى حديث السير ومبتدأ
الوحى من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما اتاه
الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشى ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك
واعباء الوحى فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد فى الصحيح
انه قاله بعد لقاء الملك او يكون ذلك قبل لقياه الملك واعلام الله تعالى له

بالنبوة

بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجايب وسلم عليه الحجر والشجر و
بداية المنامات والتباشير وكما روى فى بعض طرق هذا الحديث ان
ذلك كان اولا فى المنام ثم ارى فى اليقظة مثل ذلك تانيسا له
عليه السلام لئلا يفجاه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله
لاول حاله بنية البشرية وفى الصحيح عن عايشة اول ما بدئ به رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب
اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو فى غار حراء الحديث
وعن ابن عباس مكث النبى صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة يسمع
الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين
يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءنى وانا نائم فقال اقرأ فقلت
وما اقرأ وذكر نحو حديث عايشة فى غطه له واقرائه اقرأ باسم
ربك السورة قال فانصرف عنى وهببت من نومى كانما صورت
فى قلبى ولم يكن ابغض الى من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث عنى
قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسى منه
فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادى يا محمد
انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسى فاذا جبريل على صورة رجل

وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده ما قصد
انما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل اعلام الله له بالنبوة
واظهار اصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه
عليه السلام قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد
خشيت والله ان يكون هذا الامر ومن رواية حماد بن سلمة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا وارى ضوء
واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله في بعض هذه
الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظ يفهم منها معاني الشك
في تصحيح ما راه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام
الله انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا يصح طرقها واما بعد
اعلام الله تعالى له ولقائه الملك ولا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه
شك فيما القي اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يرقي بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما
نزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه
اليك من يرقيك قال اما الان فلا وحديث خديجة واختبارها
امر جبريل بكشف راسها الحديث انا ذلك في حق خديجة لتحقق
صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك ويزول

الشك

الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو
حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن
هشام عن ابيه عن عايشة ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك
وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء
جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه
فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به
فهذا يدل انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها
لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق
الجبال لا يقدح في هذا الاصل لان معمرا لم يسنده ولا ذكر رواته ولا
من حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا
الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر
كما ذكرنا فلو انه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا و
يصحح معنى هذا التاويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل
عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شان

النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على ان تقولوا انه ساحر اشتد
ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل
يا ايها المدثر وخاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان يكون عقوبة
من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض
به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم
به من العذاب وقول الله في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه
قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل
حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل يقدر عليه ما اصابه
وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل يواخذه بغضبه وذهابه و
قال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق
ان يظن بنبي ان يجهل صفة من صفات ربه وقوله اذ ذهب مغاضبا
لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ
مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمومنين فكيف
بالانبياء وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب ويقتلوه كما ورد
في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر
امره الله به على لسان نبي اخر فقال له يونس غيري عليه اقوى مني
فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس ان ارسال

يونس

يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الاية بقوله
فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه
ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال
فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان
قيل فما معنى قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم
مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان
يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل
الغين في هذا ما يغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين
السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشى القلب ولا
يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء ولا يمنع ضوء
الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر
من سبعين مرة في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر
الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين
اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر و
مشاهدة الحق بما كان النبي صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاسات
البشر وسياسة الامة ومعانات الاهل ومقاومة الولي والعدو و
مصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل

هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع
الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله
عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه
هنالك ارفع حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواه
غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا
اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا به مال كثير من الناس
وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد
محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ
على ما سيأتي ان شاء الله تعالى وذهب طائفة من ارباب القلوب ومشيخة
المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي عليه الصلاة والسلام عن هذا جملة واجله
من ان يجوز عليه في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره
ويغم فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم
فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه بمعنى السكينة التي
تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه
السلام عندهما اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطا استغفاره
وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون
الحذر ولا يركنوا الى الامن وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة

خشية

خشية واعظام يغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة
لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا و
على هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث
عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة
فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح
عليه السلام فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من
الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في اية نبينا لا تكونن
ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية نوح لا تكونن
ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل
بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم
ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال اني اعظك وليس في
اية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف
واية نوح قبلها فلا تسألني ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها
اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد يجوز اباحة السؤال فيه
ابتداء فنهاه الله تعالى ان يسأله عما طوى عنه علمه واكنه في غيبه
من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك

بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك امر نبينا
في الاية الاخرى بالالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك
فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك رحمه الله تعالى
وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم اي فلا تكونوا من
الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في القران كثير فبهذا الفصل
وجب القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت
عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد
الله لنبينا عليه السلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن
اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا
يضرك الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية وقوله
لاخذنا منه باليمين الاية وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن
سبيل الله وقوله فان يشاء الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما
بلغت رسالته وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم
وفقنا الله واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ و
ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه
او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله يسر امره بالمكاشفة
والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه

ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما
قال لموسى وهرون لا تخافا ليشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين
الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن
يفعل هذا وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله
ان يشاء الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه
فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز
عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم
والله ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الاية وما كان طردهم عليه السلام وما كان من الظالمين فصل
واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب
انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في
شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء بتنزيههم
عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل
على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في

الباب الثانى من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل
الاخبار ان احدا نبئ واصطفى ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند
هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه
سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته
وعير كفار الامم انبيائها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته
الينا الرواة ولم نجد فى شئ من ذلك تعيير الواحد منهم برفضه الهته و
تقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا
بذلك مبادرين وبتلونه فى معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم
عما كان يعبد من قبل افظع واقطع فى الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم
الهتهم وما كان يعبد اباؤهم من قبل ففى اطباقهم على الاعراض عنه
دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل ولما سكتوا عنه كما
لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها
كما حكاه الله تعالى عنهم وقد استدل القاضى القشيرى على تنزيههم
على هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الاية وبقوله
واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره
الله فى الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق
النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك

اوغيره

اوغيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف
يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة
وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما
تظاهرت به اخبار المبداء ولا يشتبه عليك بقول ابرهيم فى الكوكب
والقمر والشمس هذا ربى فانه قد قيل كان هذا فى سن الطفولية وابتداء
النظر والاستدلال وقيل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من
العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم
وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربى قال
الزجاج قوله هذا ربى اى على قولكم كما قال اين شركائى اى عندكم ويدل
على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك بالله قط طرفة عين
عز وجل عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم
تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين اذ
جاء ربه بقلب سليم اى من الشرك وقوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام
فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين
قيل اى ان لم يؤيدنى بمعونته اكن مثلكم فى ضلالكم وعبادتكم
على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم فى الازل من الضلال
فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا

اولتعودن فی ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترینا علی الله کذبا ان
عدنا فی ملتکم بعد ان نجانا الله منها فلا تشکل علیك لفظة
العود وانها تقتضی انهم انما یعودون الی ما کانوا فیه من ملتهم فقد
تاتی هذه اللفظة فی کلام العرب لغیر ما لیس له ابتداء بمعنی الضیرورة
کما جاء فی حدیث الجهنمیین عادوا حمما ولم یکونوا قبل ذلك ومثله
قول الشاعر تلك المکارم لا قعبان من لبن شیبا بماء فعادا بعد
ابوالا وما کانا قبل کذلك فان قلت فما معنی قوله ووجدك ضالا فهدی
فلیس هو من الضلال الذی هو الکفر قیل ضالا عن النبوة فهداك الیها
قاله الطبری وقیل وجدك بین اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك
للایمان والی ارشادهم ونحوه عن السدی وغیر واحد وقیل ضالا عن
شریعتك ای لا تعرفها فهداك الیها والضلال ههنا التحیر ولهذا
کان علیه السلام یخلو بغار حراء فی طلب ما یتوجه به الی ربه ویتشرع
به حتی هداه الله الی الاسلام قال القشیری معناه وقیل لا تعرف الحق
فهداك الیه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تکن تعلم قاله علی بن عیسی قال
ابن عباس لم تکن له ضلالة معصیة وقیل هدی ای بین امرك بالبراهین
وقیل وجدك ضالا بین مکة والمدینة فهداك الی المدینة وقیل المعنی
وجدك فهدی بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتی

لك

لك فی الازل ای لا تعرفها فمننت علیك بمعرفتی وقراء الحسن بن علی و
ووجدك ضال فهدی ای اهتدی بك وقال عطاء ووجدك ضالا ای
محبا المحبتی والضال المحب کما قال انك لفی ضلالك القدیم ای محبتك القدیمة
ولم یریدوا ههنا فی الدین اذ لو قالوا ذلك فی نبی الله لکفروا ومثله
عند هذا قوله انا لنراها فی ضلال مبین ای فی محبته بینه وقال الجنید
ووجدك متحیرا فی بیان ما انزل الیك فهداك الی بیانه لقوله وانزلنا
الیك الذکر الایة وقیل ووجدك لم یعرفك احد بالنبوة حتی اظهرك
فهدی بك السعداء ولا اعلم احدا من المفسرین قال فیها ضالا عن
الایمان وکذلك فی قصة موسی علیه السلام قوله فعلتها اذا وانا من
الضالین ای من المخطئین الفاعلین شیئا بغیر قصد قاله ابن عرفة وقال
الازهری معناه من الناسین وقد قیل ذلك فی قوله ووجدك ضالا
فهدی ای ناسیا کما قال تعالی ان تضل احدیهما الایة فان قلت فما معنی
قوله ما کنت تدری ما الکتاب ولا الایمان فالجواب ان السمرقندی قال
معناه ما کنت تدری قبل الوحی ان تقرأ القران ولا کیف تدعو الخلق
الی الایمان وقال بکر القاضی نحوه قال ولا الایمان الذی هو الفرائض
والاحکام قال فکان قبل مؤمنا بتوحیده ثم نزلت الفرائض التی لم یکن
یدریها قبل فزاد بالتکلیف ایمانا فکذلك الحدیث الذی یرویه عثمان

ابن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد
مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه
اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام
الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا
وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمان
وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا
يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم
من قوله بُغِّضَت الى الاصنام وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي
صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه
ابي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسئلني بهما فوالله ما ابغضت شيئا
قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسئلك عنه فقال
سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله
له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج وكان يقف
هو بعرفة لانه كان موقف ابرهيم عليه السلام فصل قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله قد بان بما قدمناه عقود الانبياء في التوحيد والايمان
والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود

قلوبهم

قلوبهم فجماعها انها مملوة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت
من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شئ فوقه ومن طالع الاخبار
واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا
صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه
على ما وراءه الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها
بامور الدنيا فلا نشترط في حق الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبيا
ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ
هممهم متعلقة بالاخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها وامور
الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من
الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب
الثاني ان شاء الله ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا
فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا
الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم
ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال
الانبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله
مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من
النبي الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل

عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما
لم ينزل عليه فيه شيء على تجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول
المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني انما اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل
علي فيه خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على رأي
بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا
هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن اجاز على الخطأ
في الاجتهاد لا ان لو قام على دليل القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق
والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي
صلى الله عليه وسلم من الخطاء في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول
في تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله
عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل فيه شيء ولم يشرع له قبل
هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعتقد عليه
قلبه من امر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه
شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله او اذن له
ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها
ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده عليه السلام وتقررت

معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبا
لجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه
اذ لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما يعلق بعقده من ملكوت السموات
والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة
واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان ويكون مما
لا يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا تاخذه فيما اعلم منه
شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع
تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله
اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر عليهما السلام هل اتبعك
على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسالك
باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسالك بكل اسم هو لك
سميت به نفسك او استأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله
تعالى وفوق كل ذي علم عليم وقال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم
الى الله وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى
لها هذا حكم عقد النبي في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية
فصل واعلم ان الامة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان

وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوسواس
وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون
العدل ثنا ابو بكر البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا
اسمعيل الصفار ثنا عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفين عن
منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل به
قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله
قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور
فلا يأمرني الا بخير وعن عايشة معناه وروي فاسلم بضم الميم اي
فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني
القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر الا بخير كا
لملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي
ابو الفضل فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني ادم
فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد
جاءت الاثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء
نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا
خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم واسره

ففي

ففي الصحاح قال ابو هريرة عنه عليه السلام ان الشيطان عرض لي
قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي صلاتي فامكنني
الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون
اليه فذكرت قول اخي سليمن رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية فرده الله
خاسئا وفي حديث ابي الدرداء عنه عليه السلام ان عدو الله ابليس
جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلا
وذكر تعوذه بالله تعالى منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه و
قال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه
في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به
منه ذكره في الموطا ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب با
لتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في الايتمار بقتل النبي صلى الله
عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة بدر
في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس الاية ومرة ينذر
بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره
وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء
ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه السلام

حين لدّ في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال
انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معنى قوله
تعالى فاما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية فقد قال بعض المفسرين
انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك
اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ
بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة
فامر الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان
من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان
يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط
عليه باكثر من التعريض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه
الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك
ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل
المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه من الله الملك
ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله تعالى له ببرهان يظهره
لديه ليتم كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل
فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى

الشيطان

الشيطان في امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية اقاويل
منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه
الجمهور من المفسرين ان التمني هاهنا التلاوة والقاء الشيطان فيها
اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم و
النسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف
وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته و
سياتي الكلام على هذه الاية بعد باشبع من هذا ان شاء الله وقد
حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك
سليمن وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان
مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له وقال ابو
محمد مكي في قصة ايوب وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
انه لا يجوز لاحد ان يتأول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر
في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال
مكي وقد قيل ان الذي اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت
فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان وقوله عن
يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام
عن الصلاة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلم

فى وكثرته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد فى
جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب فى وصفهم كل قبيح من شخص
او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه رؤس الشياطين
وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتل فانما هو شيطان يعنى الذى
يمر بين يدى المصلى وسترته وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب
عنه اذ لم يثبت له فى ذلك الوقت نبوة مع قال الله تعالى واذ قال
موسى لفتاه والمروى انه انما نبى بعد موت موسى عليه السلام وقيل
قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القران وقصة يوسف
قد ذكر انها كانت كلها قبل نبوته وقد قال المفسرون فى قوله
فانساه الشيطان قولان احدهما ان الذى انساه الشيطان ذكر
ربه احد صاحبى السجن وربه الملك اى انساه ان يذكر للملك شان
يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس
فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو شغل
خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا
واما قوله عليه السلام ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر
تسلطه عليه ولا وسوسة له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين
امر ذلك الشيطان انى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبى حتى

نام

٢١١

نام فاعلم ان تسلط الشيطان فى ذلك الوادى انما كان على بلال
الموكل بكلاة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها
على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل
عن الوادى وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق زيد بن اسلم فلا
اعتراض به فى هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله فصل واما قوله
عليه السلام فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجتمعت
الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شىء منها
بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا وغلطا اما تعمد الخلف
فى ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال
اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط فى ذلك
فبهذه السبيل عند الاستاذ ابى اسحق الاسفراينى ومن قال بقوله
ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبى
لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضى ابى بكر الباقلانى ومن وافقه
لاختلاف بينهم فى مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن
غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه
خلف فى القول فى ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحى
اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا فى حال الرضى والسخط

والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله اكتب
كلما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فاني لا اقول
في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا
فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن
الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره
عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين
لكم ما نزل اليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد
جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي
وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط
الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص
فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا
كما قاله ابو اسحق فصل وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات
منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قراء سورة النجم وقال
افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية فان شفاعتها
لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك

للشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار
لما سمعوا اثنى على الهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان
القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان لو نزل عليه
شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء
ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة
فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية
وقوله وان كادوا ليفتنونك الاية فاعلم اكرمك الله ان لنا في
الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في توهين اصله و
الثاني على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث
لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما
اولع به وبمثله المورخون والمفسرون المولعون بكل غريب المتلقفون
من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي
حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق
بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده
واختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلاة واخر يقول قالها في نادي
قومه حين انزلت عليه السورة واخر يقول قالها وقد اصابته سنة

وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان قالها
على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال
ما هكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله
عليه وسلم قراءها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله
ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت عنه
هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا
رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة وواهية والمرفوع
فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة
وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده
عن شعبة الا امية بن خلد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما
يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله
انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف
ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به
ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فيما لا يجوز الرواية عنه
ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار والذي منه

في الصحيح

في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قراء والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون
والمشركون والانس والجن هذا توهينه من طريق النقل فاما من جهة
المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم
ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا
من مدح الهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه
عليه القران حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم
ان من القران يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي عليه السلم من القران
ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليهما السلم وذلك كله ممتنع في حقه
عليه السلم او يقول ذلك النبي من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهو
وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته
صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدًا ولا
سهوًا وان يتشبه عليه السلم ما يلقيه الملك مما يلقيه الشيطان
او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول على الله لا سهوا ولا عمدا
ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية
وقال اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية ووجه ثانٍ
وهو استحالة هذه القصة نظرًا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان
كما روى لكان بعيدًا الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم

متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من
بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا
لا يخفى على ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة
فصيح الكلام علمه وجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي
المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة
وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم
المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض
ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا
سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش
بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا
مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة
وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية
لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت
فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على
بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس
والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء
المسلمين ووجه رابع ذكره الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت

وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان الايتان ترد ان الخبر الذي
رووه لان الله تعالى ذكر كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان
يثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من
ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون
في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه
عليه السلام قال افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم
الاية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله
في الاية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان
يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي
عن ابن عباس كل ما في القران كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد
سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال
القشيري ولقد طالبه قريش وثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه
اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال الانباري
ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير اخر ما
ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله ترد سفسافها فلم يبق في الاية
الا ان الله تعالى امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بعصمته وتثبيته
بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته

وان كادوا

صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم هذه الاية واما المأخذ الثاني فهو
مبني على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على كل
من حال فقد اجاب على ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين
فمنها ما روى قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سِنة
عند قراءة هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم و
هذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من
احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في
نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي
قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك
الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال
وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان
يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه
وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير
والتوبيخ للكفار كقول ابرهيم هذا ربي على احد التأويلات
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين
ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على
المراد وانه ليس على المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض

على هذا بما روى انه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير
ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين
على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن
ترتيلا ويفصل الاي في قراءته تفصيلا كما رواه الثقات عنه
فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه
من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه
من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم و
اشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين بحفظهم السورة قبل ذلك
على ما انزل الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم
الاوثان وعيبها ما عرف منه وحكى محمد بن عقبة في مغازيه نحو
هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في
اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روى من حزن النبي صلى
الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد
قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فمعنى
تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته
وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو

اذا قراء فيتنبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية
انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اى حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن
عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه
تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس في القران بل
السهو عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو
بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز
عليه من السهو وما لا يجوز وما يظهر في وما يظهر في تاويله
ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فان سلمنا
القصة قلنا لا يبعد ان كان هذا قرانا والمراد بالغرانقة العلى
وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر
الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون
الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم
في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا
من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تاوله
المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان
ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان
واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بها

سبيلا

سبيلا للالباس كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته وكان في
انزال الله لذلك حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل
به الا الفاسقين وليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم
مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين
اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قراء هذه السورة وبلغ ذكر اللات
والعزى ومنات الثالثة الاخرى خاف الكفار ان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم
بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي
صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا
القران والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله
لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن
لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من
قبلك الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القران واحكم
اياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه الله تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر
الاية ومن ذلك ما روى من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب
عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا
فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار الواردة

في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم
بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان
العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله
عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي الاية وروي في الاخبار انهم رأوا دلائل العذاب
ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما
يغشى السحاب القمر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي
سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى
قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم
فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول له النبي
صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت
ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف
شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم
بعدما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا
الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا
سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية
عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى

عورته

هو ومثله على الله ورسله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل
يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين
مفتر على الله ورسوله ولم ترد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من
الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون ولو كانت صحيحة
لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه
ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في
نظم القران وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب
قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو
فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول صلى الله عليه
وسلم قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل
عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته
به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت
ان يسبق الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق
ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة وكذلك
قوله عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون في ما كان فيه من
مقاطع الاي وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم

فاملاء احداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام
الاخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له
النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما
نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى ان
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم
وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير
المقاطع قرا بهما الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام
كيف ننشزها وننشرها يعني بزاء وراء ويقص الحق ويقضي الحق
يعني بصاد وضاد وكل هذا لا يوجب ريبا ولا ينسب للنبي صلى الله
عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما
يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القران فيصف
الله ويسميه في ذلك كيف شاء فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ
واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها
الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا
واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا

ولا غلطا

ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده
ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه
وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق
احواله والثقة بجميع اخباره وفي اي باب كانت وفي اي شيء وقعت
وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله
عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي
على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم له كيف بك اذا اخرجت
من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القسم فقال عمر كذبت
يا عدو الله وايضا فان آثاره واخباره وسيره وشمائله معتنى بها
مستقصى بتفاصيلها ولم يرد في شيء من ذلك استدراكه عليه السلام
لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل
كما نقل من قصته عليه السلام رجوعه عما اشار به على الانصار في
تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست
من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها
الا اتيت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم مختصمون
الى الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما



في مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها
وايضاً فان الكذب متى عُرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف
ما هو على اي وجه كان استُريب بخبره واتُّهم في حديثه ولم يقع قوله
في النفوس موقعاً ولهذا ما ترك المحدثون والعلماءُ الحديث عن من عُرف
بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضاً فان
تعمُّد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط
للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه مَنصِبُ النبوة والمَرَّةُ الواحدة فيما
يُستبشع ويُشنع مما يخل بصاحبها وتُزري بقائلها لاحقة بذلك
واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناه من الصغائر فهل تجري على
حُكمها في الخِلاف فيها مُختَلِفٌ فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله
وكثيره سَهوه وعَمدِه اذ عُمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين
وتصديق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادحٌ
في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز
على الانبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد
ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقُه
البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام بهُ
في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يُزري ويُريب بهم ويُنفِّرُ ١

القلوب

القلوب عن تصديقهم بعدُ وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه -٢٦
وسلم من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه و
ما عُرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا
صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعدُ وقد ذكرنا فيه من الاثار في الباب
الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه فصل فان قلت
فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه
ابو اسحق ابرهيم بن جعفر ثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهيل ثنا حاتم بن محمد
ثنا ابو عبد الله بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى عن مالك
عن داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا
هريرة يقول صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم من ركعتين
فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة ام نسيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي رواية اخرى ما قصرت
الصلاة وما نسيت الحديث بقصته واخبر بنفي الحالتين وانهما لم تكن و
قد كان احد ذلك كما قال له ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله
فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف
ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول
بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفنا

من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من منع
السهو والنسيان فى افعاله جملة ويرى انه فى مثل هذا عامد بصورة النسيان
ليسن فهو صادق فى خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول
تعمد هذا الفعل فى هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب
عنه نذكره فى موضعه واما على احالة السهو عليه فى الاقوال وتجويز السهو
عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبى صلى الله
عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا
واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده فانه لم ينس فى ظنه
فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا وجه
ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام اى انى سلمت قصدا وسهوت عن العدد
اى لم اسه فى نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد وجه ثالث وهو
ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن
اى لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع
الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا
ما رايت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ على بعد بعضها
وتعسف الاخر منها قال القاضى ابو الفضل رحمه الله والذى اقول ويظهر
لى انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذى نفاه عن

نفسه

نفسه وانكره على غيره بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا
وكذا ولكنه نسى وبقوله فى بعض روايات الحديث الاخر لست انسى ولكنى
انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان
ونسيانه من قبل نفسه وانه ان كان جرى شىء من ذلك فقد نسى حتى سال
غيره فتحقق انه نسى واجرى عليه ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر
او كل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسى ووجه
اخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة
وافة والسهو انما هو شغل قال وكان النبى صلى الله عليه وسلم يسهو فى صلاته ولا
يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما فى الصلاة شغلا بها
لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن فى قوله ما قصرت ولا
نسيت خلف فى قول واما قصة كلمات ابرهيم عليه السلام المذكورة فى
الحديث انها كذبات الثلاث المنصوصة فى القران منها اثنتان قوله انى سقيم
وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته سارة انها اختى فاعلم اكرمك الله
ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا فى القصد ولا فى غيره وهى داخلة
فى باب المعاريض التى فيها مندوحة عن الكذب اما قوله انى سقيم فقال
الحسن وغيره معناه سأسقم اى ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر

لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر على
من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل
بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته
وكل هذا ليس فيه كذب بل خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته
عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التى كانوا يشتغلون
اثنا نظره فى ذلك وقبل استقامة حجته عليهم فى حال سقم ومرض
حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف فى استدلاله
عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله
باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه
الله وقدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق
خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت
لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختى فقد بين
فى الحديث وقال انك اختى فى الاسلام وهو صدق والله تعالى
يقول انما المومنون اخوة فان قلت فهذا النبى صلى الله عليه وسلم قد
سماها كذبات وقال لم يكذب الا ثلث كذبات وقال فى حديث الشفاعة
ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب
وان كان حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها

خلاف باطنها اشفق ابرهيم عليه السلام من مواخذته بها واما الحديث
كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف
فى القول انما هو ستر مقصده لئلا ياخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه
بذكر السوال عن موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه
يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا
لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى
عليه السلام وقد سئل اى الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك
اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك
وهذا خبر قد انبانا الله انه ليس كذلك فاعلم انه قد وقع فى هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة ان ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه
على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق فمحمله
على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله فى النبوة والاصطفاء يقتضى
ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف
فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد
وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر
مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة فى
خبرها فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم

ويدلّ عليه قوله تعالى وعلّمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما
قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يَرُدّ العلم اليه تعالى كما قالت
الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرضَ قولَه شرعا وذلك
والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعُلوّ
درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه
ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدّعوى وان نزه عن هذه الرذائل
الانبياءُ فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك نقلها الا من عصمه الله فا
لتحفظ منها اولى لنفسه وليُقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظا
من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذا الحديث احدى
حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم
من النبي واما الانبياء عليهم السلام فيتفاضلون في المعارف وبقوله
وما فعلته عن امري فدلّ انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان
يكون فعلَه بامر نبي اخر وهذا يُضعَّف لانه لما كان في زمن موسى نبي
غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعوّل
عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العُموم وانما هو على الخصوص وفي
قضايا معيّنة لم نحتج الى اثبات نبوّة خضرٍ ولهذا قال بعض الشيوخ كان
موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى

وقال اخر انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم **فصل** واما
ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما
عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد
وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء
من الفواحش والكبائر والموبقات ومستنَد الجمهور في ذلك
الاجماعُ الذي ذكرنا وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل
العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واجازه الاستاذ ابو اسحق وكذلك
لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ
لان كلّ ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من
الكافة واما الصغائر فجوّزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء
وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف
وقالوا العقل لا يُحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد
الوجهين وذهبت طائفة اُخرى من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم
من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر
وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان
كلّ ما عُصي الله به فهو كبيرة وانه انما سُمّي منها الصغير بالاضافة الى

ماهو اكبر منه ومخالفة البارى تعالى فى اى امر كان يجب كونه كبيرة قال
القاضى ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان فى معاصى الله صغيرة
الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك
بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شى والمشيئة عنها الى
الله وهو قول القاضى ابى بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة
الفقهاء وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون
عن تكرار الصغاير وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا فى صغيرة
ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت الازراء والخساسة
فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب
المتسم به ويزرى بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون
عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله بخروجه بما
ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من
مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من
الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا
وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعى وابى حنيفة
من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا فى حكم ذلك
وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول

الابهرى

الابهرى وابن القصار واكثر اصحابنا وهو قول اكثر اهل العراق وابن
سريج والاصطخرى وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان
ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان
من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة فى افعاله
لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم فى
افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة
او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا
سيما على مذهب من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصلين
ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه
السلام مجمعون على انه لا يقر على منكر من القول او فعل وانه متى راى شيئا
فسكت عليه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله
فى حق غيره ثم يجوز وقوعه منه فى نفسه وعلى هذا المأخذ يجب عصمتهم
من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر والندب على الاقتداء بفعله
ينافى الزجر والنهى عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة
قطعا الاقتداء بافعال النبى صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفى كل
فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ عليه السلام خاتمه
وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم برواية ابن عمر اياه جالسا لقضاء

حاجته مستقبلاً بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما
بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله
وقال هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم وقالت عايشة كنت افعله انا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي
اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله
واعلمكم بحدوده والاثار في هذا اكثر من ان نحاط بها لكنه يعلم من
مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداهم بها ولو جوزوا عليه
المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك
ولما انكر عليه السلام على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات
فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي
غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت
له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق الهمم بالله والدار
الاخرة لا ياخذون من المباحات الا الضروريات مما يتقوون به على
سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذا
السبيل التحق طاعة وصار قربة بنيتهم كما بينا منه اول الكتاب طرفاً
في خصال نبينا عليه السلام فبان لك عظيم فضل الله على نبينا صلى الله
عليه وسلم وعلى ساير الانبياء عليهم السلام بان جعل افعالهم قربات

وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية **فصل** وقد
اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها اخرون
والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب
الريب فكيف والمسئله تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما
تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام
قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا الشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن
متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا
معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي
وتقرر الشريعة ثم اختلف حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف
السنة ومقتدى فريق الايمة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك
النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل وما امكن
كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته
ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة
وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعاً
من عرف تابعاً وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة و
استناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة
اخرى بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك

اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في اخذهما طريق
النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملاً بشرع من
قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم على تعيينه
واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان
يتبع فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم
فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي
ابو بكر وابعدها مذهب المعينين اذ لو كان شئ من ذلك لنقل كما قدمناه ولم
يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء
بعدها اذ لم تثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة
الا لنبينا عليه السلم ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة
ابرهيم حنيفا وللاخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
فحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد كقوله تعالى اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له
شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول
وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية وشرايعهم مختلفة
لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة
الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في

سار

سائر الانبياء غير نبينا عليه السلام او يخالفون بينهم اما من منع
الاتباع عقلاً فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى
النقل فايما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن
قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي

فصل

هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية و
يدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان
في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك
المؤاخذة عليها فاحوال الانبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس معصية
لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير
الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه
وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة
من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق
على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه
قصداً او سهواً فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة
فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء و
طرو هذه العوارض عليها توجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا
عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق

وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة فى الافعال البلاغية
والاحكام الشرعية سهوًا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من
احاديث السهو فى الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية
لقيام المعجزة على الصدق فى القول ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو
فى الافعال فغير مناقض لها ولا قادح فى النبوة بل غلطات الفعل و
غفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما
تنسون فاذا نسيت فذكرونى نعم بل حالة النسيان والسهو هنا
فى حقه عليه السلام بسبب افادة علم وتقرير شرع كما قاله عليه السلم
انى لانسى او قال انسى بل قد روى لست انسى ولكن انسى لاسن و
هذه الحالة زيادة له فى التبليغ وتمام عليه فى النعمة بعيدة عن سمات
النقص واعتراض فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر
على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول
بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الاخرين اما ما ليس
طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه السلام وما يختص
به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات
علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات
بقلبه وذلك بما كلفه من مقاسات الخلق وسياسات الامة ومعاناة

الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار والاتصال بل
على سبيل الندور كما قال عليه السلام انه ليغان على قلبى فاستغفر الله
وليس فى هذا شى يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى
منع السهو والنسيان والغفلات والفترات فى حقه عليه السلام جملة
وهو قول جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم فى هذا
الحديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله **فصل** فى الكلام
على الاحاديث المذكورة فيها السهو منه عليه السلام قد قدمنا فى
الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع
واحلناه فى الاخبار جملة وفى الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه
فى الافعال الدنيوية على الوجه الذى رتبناه واشرنا الى ما ورد فى ذلك
ونحن نبسط الكلام فيه (القول) والصحيح من الاحاديث الواردة فى سهوه
عليه السلام فى الصلاة ثلثة احاديث اولها حديث ذى اليدين فى
السلام من اثنتين الثانى حديث ابن بحينة فى القيام من اثنتين الثالث
حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا و
هذه الافعال مبنية على السهو فى الفعل الذى قررناه وحكمة الله
فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلا منه بالقول وارفع للاحتمال
وشرطه ان لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس



وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو في
الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق
وقد قال عليه السلام انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا
نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا اية
كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني لانسى
او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني
لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار
رحمهما الله الى انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا
او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي رحمه الله يحتمل ما قاله
ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل
عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي عليه
وتفرغي له واضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب
فيه ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من
اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يسهو في الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وافة قال وانه
عليه السلام منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته
ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها

واحتج

واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع
هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن
وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى لانه كيف يكون متعمدا
ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان
ليسن لقوله اني لانسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة
التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا
عظيم من المحققين من ائمتنا رحمهم الله وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم
يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني
لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي
لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه
نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل
بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج
وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان
الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء
وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها
الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف
كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه عليه السلام

عن الصلاة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنام ولا ينام قلبي فاعلم ان
للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه
في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف
عادته ويصحح هذا التأويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان الله
قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل
هذا انما يكون منه لامر يريده الله عز وجل من اثبات حكم وتاسيس سنة
واظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد
ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه صلى الله عليه وسلم لا يستغرقه النوم
حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى
ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس
المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا
يمكن الاحتجاج به على وضوءه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل
او لحدث اخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه
ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى
اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس
وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام ان الله قبض ارواحنا
ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق

النوم

النوم لما قال لبلال اكلا لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شأنه
عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر لا تصح ممن نامت
عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة
اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان
قيل ما معنى نهيه عليه السلم عن القول نسيت وقد قال عليه السلم
اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا
وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه
الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ
فعله من القران اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره
اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله
تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا منه صلى الله
عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والآخر
على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام لما
اسقط من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله
الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله
سبحانه نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان
ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كراهة ويجوز ان

يذسيه منه قبل البلاغ ما يغير نظماً ولا يخلط حكما مما لا يدخل
خللاً في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله تعالى
كتابه وتكليفه ابلاغه **فصل** في الرد على من اجاز عليهم الصغاير
والكلام على ما احتجوا به في ذلك **اعلم** ان المجوزين للصغاير على الانبيا
من الفقهاء والمحدثين ومن تابعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا
على ذلك بظواهر كثيرة من القران والحديث ان التزموا ظواهرها
افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم
فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت
الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف
ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف
فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطاء قولهم وصحة غيره
وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان
شاء الله فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم فيه عذاب عظيم وقوله عبس

وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص من قصص غيره من الانبياء كقوله
وعصى ادم ربه فغوى وقوله فلما اتيهما صالحا جعلا له شركاء الاية
وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت
من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة داود وقوله وظن داود انما
فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله مآب وقوله ولقد همت
به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله عن موسى عليه السلام
فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى
الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما اخرت واسررت
واعلنت ونحو من ادعيته عليه السلم وذكر الانبياء في الموقف
ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي
حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله في اليوم واتوب اليه اكثر من
سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الاية وقد كان قال
الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابرهيم عليه
السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت
اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم
بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف
فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد

ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل
النبوة والمتاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك
امته عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه
الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب
امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله تناول
قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله
عليه وسلم هاهنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل
الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية وبما للمؤمنين
في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية انك مغفور لك
غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة من العيوب
واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف
من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة
وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت
ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من
اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا
عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك

وطلب

وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه
خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى
انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام
النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة
فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله
له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة
وما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ
ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر
لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا
من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في
امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه وحي
فكيف وقد قال الله فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه
الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج
عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم
ذلك ونحوه عن القشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب
من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا

قال الداوردي روى انها كانت تكرمه قال مكي هو استفتاح كلام
مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله واما
قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآيتين فليس فيه الزام
ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين
سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام
احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون
عرض الدنيا الاية قيل المعنى الخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه
لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله
عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روى عن الضحاك انها نزلت حين
انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنايم عن
القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب
من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى هذه الاية فقيل معناها
لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا قبل النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان
يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو
الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنايم ويزاد
هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقران
وكنتم ممن احلت لهم الغنايم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا

انه

انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب
والمعصية لانه من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما
غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد
روى عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله
عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤا القتل وان
شاؤا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل
منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه
لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان
والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب
اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار
الطبري وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء
عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من
اخذ بماخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه
القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول
من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله
لهم فيما سبق وقال الداودي لا يثبت الخبر بهذا ولو ثبت لما جاز
ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص ولا جعل الامر اليه

فيه وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله نبيه
في هذه الاية ان تأويله وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد
كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي
بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر
بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان
الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم
لكن الله تعالى اراد تعظيم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته
وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم
لا على وجه عتاب او انكار او تذنيب هذا معنى كلامه واما قوله تعالى
عبس وتولى الايات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام
الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو
كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم
لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا
له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك
اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض
عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذي
كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة ادم عليه السلام

وقوله

وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من
الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية
بقوله وعصى ادم ربه فغوى اى جهل وقيل اخطاء فان الله تعالى قد اخبر
بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن
زيد فنسي عداوة ابليس له وما عهد اليه الله من ذلك بقوله ان هذا
عدو لك ولزوجك الاية قيل نسي بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما
سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة
استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن
الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روى عذر ادم
بمثل هذا في بعض الاثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما
والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له
عزما اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم و
الصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله وصف
خمر الجنة لانها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك
ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي
عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان
يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى

ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا
بعد العصيان وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى
عنها لانه تاول نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا
قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان
الله لم ينهه عنها نهى تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى
وعصى ادم وقال فتاب عليه وهدى وقوله فى حديث الشفاعة و
يذكر ذنبه وانى نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسياتى الجواب
عنه وعن اشتباهه مجملا اخر الفصل ان شاء الله واما قصة يونس
عليه السلام فقد مضى الكلام على بعضها انفا وليس فى قصة يونس
نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل
انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل
بل لما وعدهم الله العذاب ثم عفا عنهم قال والله لا القاهم بوجه
كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل
ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم
وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله
ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله انى كنت
من الظالمين فالظلم وضع الشى فى غير موضعه فهذا اعتراف منه

عند

عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او
لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه
فلم يؤاخذه وقال الواسطى فى معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى
نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم وحوا عليهما السلام ربنا
ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما غير الموضع الذى انزلا فيه
واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام
فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين
بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شئ من ذلك ولا
ورد فى حديث صحيح والذى نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه الى
قوله وحسن ماب وقوله فيه اواب فمعناه فتناه اى اختبرناه واواب قال قتادة
مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان
قال للرجل انزل لى عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه
وانكر عليه شغله بالدنيا وهو الذى ينبغى ان يعول عليه فى امره وقد
قيل خطبها على خطبته وقد قيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى
السمرقندى ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك
فظلمه بقوله خصمه والى نفى ما اضيف من الاخبار الى داود من ذلك
ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودى ليس فى قصة

داود واوريا خبر يثبت ولا نظر بحجة قبل مسلم وقيل ان الخصمين اللذين
اختصما اليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الاية واما قصة يوسف عليه
السلام واخوته فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم
فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القران عند ذكر
الانبياء قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط وقد قيل انهم
كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا
يوسف حين اجتمعوا ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبت
لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم
بها لولا ان راى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان
هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله عليه السلام عن ربه تعالى
اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ولا معصية في همه اذا
واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه
النفس سيئة واما ما لم توطن النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه
وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ
نفسي الاية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع
والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم
عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد

همت

همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تبارك وتعالى
عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقد قال تعالى كذلك
لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك
قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية قيل في ربي الله وقيل الملك
وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمه امتناعه عنها
وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان
قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة
حتى نباه الله والقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه
واما خبر موسى عليه السلام مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى
انه عدوه قال كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة في هذا
كله انه كان قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله
فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت
نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل
حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة
يريد دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة
وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء
قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم

وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من
قولهم فتنت الفضة في النار اذا اخلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار
واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره
وكذلك ما روى في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقاها
الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب
له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه
من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة ادمي ولا يمكن انه علم حينئذ
انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك
الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد فاعلمه
الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث
اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري
وقد تاوله قديما ابن عايشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته
وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان
عليه وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان
فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لاطوفن الليلة على مائة امراءة او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس
يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن

الا امراءة

الا امراءة واحدة جاءت بشق رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب
المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي
عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه
على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه
من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون
الحق لاختانه على خصمهم وقيل اخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح
ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه و
تصرفه في امته والجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا
وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة
ان شاء الله فعنه اجوبة احدها ما روى في الحديث الصحيح انه نسي بقولها
وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه
وقوله وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فلم يفعل سليمن هذا غيرة
على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون الا
يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة
امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة
يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون

دليلاً وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى واختصاص
محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا وانما قصة نوح عليه السلام
فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى و
اهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك لا انه
شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم
لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن
مخاطبته فيهم فاخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه
على ربه لسؤاله ما لم يأذن له في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما
حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقتضي
على نوح معصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن
له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية
النمل فاوحى الله تعالى اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم
تسبح فليس في هذا الحديث ان هذا الذي اتى معصية بل فعل ما راه مصلحة
وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى ان
هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول برحله عنها مخافة
تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى اليه ما يوجب عليه معصية بل
ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين

اذ

اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه
وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت في كل هذا امر نهي عنه
فيعصى به ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه
والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه السلام ما من احد الا ألم بذنب او كاد الا
يحيى بن زكريا او كما قال عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبيا
التي وقعت من غير قصد وعن سهو وغفلة **فصل** فان قلت فاذا نفيت عنهم
صلوات الله عليهم اجمعين الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف
المفسرين وتاويل المحدثين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما
تكرر في القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم
واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق
ويتاب ويستغفر من شيء فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء في
الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة
بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما
لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا
ثم أخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المؤاخذة بها واتوها
على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون
وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم

لانها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنوب ماخوذة من الشئ
الدنى الرذل ومنه ذَنَبُ كل شئ اى اخره واذناب الناس رُذالهم فكان
هذه ادنى افعالهم واسوء ما يجرى من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر
والخفى والخشية لله واعظامه فى السر والعلانية وغيرهم يتلوث من
الكبائر والقبائح والفواحش ما يكون بالاضافة اليها هذه الهناة فى حقه
كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اى يرونها بالاضافة الى
على احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى
مقتضى اللفظ كيف ما كانت من سهو او تاويل فهى مخالفة وترك وقوله
غوى اى جهل ان تلك الشجرة التى نهى عنها والغى الجهل وقيل اخطأ
ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت أُمنيته وهذا يوسف عليه السلام
قد اخذ بقوله لاحد صاحبى السجن اذكرنى عند ربك فانساه الشيطان
ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين قيل انسى يوسف ذكر الله وقيل
انسى صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبى صلى الله عليه وسلم لولا
كلمة يوسف ما لبث فى السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف
قيل اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبى
كثرة البلوى وقال بعضهم تواخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانهم

عن

عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم فى اضعاف ما
اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق
ما قلناه اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم
من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم فى هذا اسوء
حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المواخذة فى هذا على
حد مواخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك فى الدنيا
ليكون ذلك زيادة لهم فى درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون
استغفارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه
فتاب عليه وهدى وقال لداود عليه السلام فغفرنا له ذلك الاية
وقال بعد قول موسى تبت اليك انى اصطفيتك على الناس وقال
بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب قال
بعض المتكلمين زلات الانبياء فى الظاهر زلات وفى الحقيقة كرامات
وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم
او ممن ليس فى درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر و
يعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على
المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن
سواهم ولهذا قال صالح المرى ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطا

لم يكن ما نقص الله من قصة صاحب الحوت نقصًا له ولكن استزاده من
نبينا عليه السلام وايضا فيقال لهم فانتم ومن وافقكم يقولون بغفران
الصغاير باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبياء من الكبائر فما
جوزتم من وقوع الصغاير عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المواخذة
بها اذاً عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لهم لو
كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المواخذة بافعال السهو والتاويل
وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره
من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير
شكراً لله على نعمه كما قال عليه السلام وقد امن من المواخذة بما تقدم و
ما تأخر افلا اكون عبدا شكورا وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقى
قال الحرث بن اسد خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وتعبد لله
لانهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم اممهم
كما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً
وايضا فان في التوبة والاستغفار معنىً آخر لطيفا اشار اليه بعض
العلماء وهو استدعاء محبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين فاحداث الرسل والانبياء الاستغفار والتوبة و
الانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه معنى

التوبة

التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم وما تاخر من
ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية وقال
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فصل قد استبان لك
ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل
بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد
النبوة عقلاً واجماعاً وقبلها سمعاً وعقلاً ونقلاً ولا بشيء مما قرره
من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعاً عقلاً وشرعاً وعصمته
عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وارسله قصدا او غير قصد و
استحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه
قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغاير تحقيقا
وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه
فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح
فيجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه
الفصول حق قدرها وتعلم عظم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما
يجب للنبي عليه السلام او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور
احكامه لا يأمن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما
لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك

الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه بمحل
بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين
رأياه ليلاً وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية
ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت
ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوايد ما
تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلاً لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا
منها يرى ان الكلام فيها من جملة العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك
انه متعين للفايدة التي ذكرناها وفايدة ثانية يضطر اليها في اصول
الفقه ويبنى عليها مسائل من الفقه لا تتعدد ويتخلص بها من تشغيب
مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم
وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على
صدق النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه
السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم
في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب
ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن
اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها
فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف

يصمم

يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح
فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة
النبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول
وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة فصل في القول في عصمة
الملائكة اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة
المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا
عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء
مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة
جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن
الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن
عبادته ولا يستحسرون وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته الاية وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من
السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم و
المقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها
ان شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله والصواب عصمة
جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم وقربهم

ابن ابزى ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان وتكون ما نفيا على
ما تقدم وقيل كانا ملكين من بنى اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندى
والقراءة بكسر اللام شاذة فحمل الاية على تقدير اى محمد مكى حسن
ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم
الله بانهم مطهرون وكرام بررة لا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه
قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى
اخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا
ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ان ادم ابو الانس
وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من
الجن الذين طردتهم الملائكة فى الارض حين افسدوا والاستثناء
من غير الجنس شائع فى كلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم
من علم الا اتباع الظن ومما رووه فى الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا
الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى
سجد له من ذكر الله الا ابليس فى اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار
فلا تشتغل بها الباب الثانى فيما يخصهم فى الامور الدنيوية
ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قال القاضى قد قدمنا انه
عليه السلام وسائر الانبياء والرسل عليهم السلام من البشر وان

جسمه

جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الافات والتغييرات
والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله
ليس بنقيصة فيه لان الشىء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو
اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها
يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة
الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه
الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب
ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار و
كسروا رباعيته وسقى السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ
ثم قضى نحبه فتوفى عليه السلام ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من
دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التى لا محيص عنها و
اصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا
فى النار ونشروا بالمنشار ومنهم من وقاه الله ذلك فى بعض
الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس محمدا
صلى الله عليه وسلم فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم احد
ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ
على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث

وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقيه سحر ابن الاعصم فلقد وقاه
ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه عليهم السلام
مبتلى ومعافا وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات
ويبين امرهم وتتم كلمته فيهم وليتحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع
الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجايب
على ايديهم ضلال النصارى بعيسى بن مريم عليه السلام وليكون
في محنتهم تسلية لامهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على
الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارى والتغيرات
المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة
البشر ومعاناة بني ادم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا
عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملاء الاعلى والملائكة لاخذها
عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني
وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه
بخلاف جسمه وظاهره وان الافات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع و
سهر ونوم وان الافات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر
ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم البشر

لان

لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام
في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الاثار
انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه
وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت (ضعفت) قوته فبطلت
بالكلية جملته وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه
بخلافهم كقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني و
كذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب
لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق
به كما يعتري غيره من البشر مما ناخذ بعد في بيانه فصل فان
قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا
الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي
ابن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبيد بن
اسمعيل ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت
سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء
وما فعله وفي رواية اخرى حتى انه كان يخيل اليه انه كان ياتي النساء
ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف
حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم

فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت
به الملحدة وتدرعت به عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك
في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل
في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز
عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما ورد
انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل
عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته او يقدح في شيء من صد قه
لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه
عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها
عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما
لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث
الاخر من قوله حتى يخيل اليه انه كان يأتي اهله ولا يأتيهن وقد
سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها انه نقل
عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت
خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء
انه فعله وما فعله وبما فعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته فيكون
اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه

لائمتنا

لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم
وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي
في الحديث تاويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد
من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن
ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله على ما صنعوا فاستخرجه من
البئر وروى نحوه عن الواقدي وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم
وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن عايشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما
عند راسه والاخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة خاصة سنة حتى انكر بصره
وروى محمد بن سعيد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان فذكر القصة
فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على
ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره
وحبسه عن وطئ نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون

معنى قوله يخيل اليه انه ياتى اهله ولا ياتيهن اى يظهر له من نشاطه
ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنا منهن اصابته اخذة
السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا
اشار سفيان بقوله وهذا ما يكون من السحر وقول عايشة في الرواية
الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره
كما ذكر في الحديث فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد
فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره
لا لشيء طرأ عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر
له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا فصل
هذه حالة في جسمه اما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها
المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد في امور
الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن
بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاص وغير واحد سماعا
وقراءة قالوا ثنا ابو العباس احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد
ابن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبد الله بن الرومي وعباس
العنبري واحمد المعقري قالوا ثنا النضر بن محمد حدثني عكرمة ثنا ابو
النجاشي ثنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

المدينة

المدينة وهم يؤبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه فقال
لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال
انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من
رأيي فانما انا بشر وفي رواية انس انتم اعلم بامور دنياكم وفي حديث
اخر انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في
قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم
عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطئ واصيب
وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من
احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة
سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام لما نزل بادنى مياه بدر قال له
الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو
الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فانه
ليس بمنزل انهض حتى ناتي ادنى ماء من مياه القوم فننزله ثم نغور ما
وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالرأي وفعل ما قاله
وقد قال الله له وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على
ثلث ثمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع عنه
فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة

ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرنا اذ ليس في هذا
كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها
همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة
الربوبية ملان الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية
والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما
سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن
بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة بامور
الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما
قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب فصل وانما ما يعتقد
في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من
المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما
انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي
له على نحو ما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيئا
فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله ثنا
الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابو محمد ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا
محمد بن كثير انا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام
سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث

وفي رواية

وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب
انه صادق فاقضي له وتجري احكامه عليه السلام على الظاهر وموجبات
الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص
والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على
سراير عباده ومخبآت ضماير امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه
دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته
باتباعه والاقتداء به في افعاله واقواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو
كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في
شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا
لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون
من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرايرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى
الله احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم
اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك
على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال
اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه
الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله
حكام امته عليه السلام ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون

شريعته وطى ذلك عنه من علم الغيب الذى استأثر به عالم الغيب فلا
يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول فيعلمه بما شاء ولا يقدح
هذا فى نبوته ولا يفصم عروة من عصمته فصل واما اقواله الدنيوية
من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان
الخلف فى هذا ممتنع عليه فى كل حال وعلى اى وجه من عمد او
سهو او صحة او مرض او رضى او غضب فانه معصوم منه صلى الله عليه
وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما
المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه فى الامور
الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ
العدو حذره وكما روى من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب
قلوب المؤمنين من صحابته وتاكيدا فى محبتهم ومسرة نفوسهم كقوله
لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التى سألته عن زوجها اهو الذى
بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه
بياض وقد قال عليه السلام انى لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله
فيما بابه الخبر فاما بابه غير الخبر مما صورته الامر والنهى فى الامور
الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشئ او ينهى
احدا عن شئ وهو يبطن خلافه وقد كان عليه السلام ما كان لنبى

ان تكون

ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة قلب فان قلت فما
معنى اذاً قوله تعالى فى قصة زيد واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه
امسك عليك زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب فى تنزيه النبى
صلى الله عليه السلام عن هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب
تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما فى هذا ما حكاه
اهل التفسير عن على بن حسين ان الله كان اعلم نبيه عليه السلام ان
زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك
زوجك واتق الله واخفى فى نفسه منه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها
مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه
عن عمرو بن قايد عن الزهرى قال نزل جبريل عليه السلام على النبى
صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذى
اخفى فى نفسه ويصحح هذا قول المفسرين فى قوله بعد هذا وكان امر الله
مفعولا اى لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره
معها غير زواجه لها فدل انه الذى اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه
به تعالى وقوله تعالى فى القصة ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله
له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه حرج فى الامر قال الطبرى ما كان
ليؤثم نبيه عليه السلام فيما احل مثل فعله لمن قبله من الرسل قال الله

تعالى سنة الله فى الذين خلوا من قبل اى من النبيين فيما احل لهم
ولو كان على ما روى فى حديث قتادة من وقوعها من قلب النبى صلى الله
عليه وسلم عندما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم
الحرج ولا يليق به من مد عينيه الى ما نهى عنه من زهرة الحياة
الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذى لا يرضاه ولا يتسم
به الاتقياء فكيف سيد الانبياء قال القشيرى وهذا اقدام عظيم
من قائله وقلة معرفة بحق النبى صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف
يقال رآها فاعجبته وهى بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا
كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل
الله طلاق زيد لها وتزويج النبى صلى الله عليه وسلم اياها لازالة
حرمة التبنى وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال
لئلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك
وقال ابو الليث السمرقندى فان قيل فما الفائدة فى امر النبى صلى الله
عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته فنهاه
النبى صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى
فى نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشى قول الناس يتزوج امراة
ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون

على المؤمنين

على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد با
مساكها قمعا للشهوة ورد للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه
رآها فجاءة فاستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم
من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر
زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التى فى القصة والاولى ما ذكرناه
عن على بن الحسين وحكاه السمرقندى وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه
القاضى القشيرى وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك
عند المحققين من اهل التفسير قال والنبى صلى الله عليه وسلم منزه عن
استعمال النفاق فى ذلك واظهار خلاف ما فى نفسه وقد نزهه الله
عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن
ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم فقد اخطاء قال وليس معنى الخشية
هنا الخوف وانما معناه الاستحياء اى يستحيى منهم ان يقولوا تزوج
زوجة ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس كانت من ارجاف
المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه
بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعاتبه الله على هذا ونزهه
عن الالتفات اليهم فيما احله لهم كما عاتبه على مراعاة رضى ازواجه
فى سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله هاهنا

ونخشى الناس والله احق ان نخشاه وقد روى عن الحسن وعايشة
لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية لما فيها من
عتبه وابداء ما اخفاه **فصل** فان قلت قد تقررت عصمته عليه
السلام في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب
في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا رضى ولا غضب ولكن
ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو الهيثم
وابو اسحق قالوا حدثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا علي بن عبد الله
ثنا عبيد الله ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله
عن ابن عباس قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت
رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا ابدا
ابدا فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع
الحديث وفي رواية ايتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا
فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي
بعض طرقه ان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر
وفيه فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا
كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية اختلف
ز الصورة

امر

اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ائمتنا في هذا الحديث
النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها
من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه
من القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته
من هذيان واختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في
الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر
تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب
وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابي عيينه وكذا ضبطه
الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في
حديث سفيان وغيره وقد يحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف
الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل على قول القائل هجر او اهجر
دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله
عليه وسلم وشدة وجعه وهو المقام الذي اختلف فيه والامر الذي
هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى
شدة الوجع لانه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على

حراستهُ والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرًا وهجر
رواية ابى اسحق المستملى فى الصحيح فى حديث ابن جبير عن ابن عباس من
رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه
وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اى جئتم باختلافكم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرًا ومنكرًا من القول والهجر بضم الهاء
الفحش فى المنطق وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث وكيف
اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام بان ياتوه بالكتاب فقال
بعضهم اوامر النبى صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من
اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم
ما فهموا انه لم يكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم
ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم يكن عزمة ولما
رأوه من صواب راى عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا
على النبى صلى الله عليه وسلم من تكليفه فى تلك الحال املاء الكتاب وان
يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبى صلى الله عليه وسلم اشتد
به الوجع وقيل خشى عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون فى
الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق بالامة فى تلك الامور سعة الاجتهاد
وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ ماجورا وقد علم

عمر

عمر تقرر الشريعة وتاسيس الملة وان الله قال اليوم اكملت لكم دينكم و
قوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب
الله رد على من نازعه لا على امر النبى صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر رض
خشى تطرق المنافقين ومن فى قلبه مرض لما كتب فى ذلك الكتاب فى الخلوة
وان يتقولوا فى ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل
انه كان من النبى صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل
يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة اخرى ان
معنى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم كان مجيبا فى هذا الكتاب لما طلب منه
لا انه ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره
ذلك غيرهم للعلل التى ذكرناها واستدل فى مثل هذه القضية بقول العباس
لعلى انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمنا
وكراهيته على هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعونى
فان الذى انا فيه خير اى ان الذى انا فيه خير من ارسال الامر وترككم
وكتاب الله وان تدعونى مما طلبتم وذكر ان الذى طلب كتابه امر الخلافة
بعده وتعيين ذلك **فصل** فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذى
حدثناه الفقيه ابو محمد الخشنى بقراءتى عليه ثنا ابو على الطبرى ثنا
عبد الغافر الفارسى ثنا ابو احمد الجلودى ثنا ابراهيم بن سفيان

ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا الليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم
مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد
اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مومن اذيته او سببته او جلدته
فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما
احد دعوت عليه دعوة في رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل
من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة ورحمة
وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب
من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد ويفعل مثل ذلك عند
الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا
ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه السلام على
الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده و
ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام
لشفقته على امته ورافته ورحمته للمومنين التي وصفه الله بها وحذره
ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاه ولعنه له رحمة فهو
معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه
الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح

٢٢٥

ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا
يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنته
او سبه وانه مما يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة
فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف
والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته
على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة
العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك
وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في غير حديث انه
عليه السلام لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا فحاشا ولا لعانا
وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث
على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد
ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك على المقول له زكاة ورحمة وقربة وقد
يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار
الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله
على الياس والقنوط وقد يكون ذلك سوالا لامته لربه لمن جلده او سبه
على حق وبوجه صحيح ان يجعل له ذلك كفارة لما اصابه وتمحية لما اجترم
وان تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث

الاخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة فان قلت فما
معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع
الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري
ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الماء الجدر الحديث فالجواب
ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عن ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القضية
امر يريب ولكنه عليه السلام ندب الزبير اولاً الى الاقتصار على بعض
حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الانصاري وبخ وقال
ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم
البخاري على هذا الحديث باب ما اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم
عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلاً في قضية وفيه
الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه
وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب
والرضى سواء لكونه فيهما معصوماً وغضب النبي صلى الله عليه وسلم
في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك
الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل

وقع

٢٥١

وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا
ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك
بالله يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في
حديثه مع الاعرابي حين طلب الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت
عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته
مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك
وهو يابى فضربه بعد ثلاث ضربات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف
عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق اذ كان حق
نفسه من الامر حتى عفى عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب
في يده في بطني فاوجعني فقلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه
انما ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب
الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما
قدمناه فصل واما افعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها
من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط
في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور
اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى

العبادات والقرب على ما بيّنا اذ كان عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التى يعبد بها ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او بِرّ يوسّعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم فى زاكى وظائف عباداته وقد كان يخالف فى افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعدّ الامور اشباهها فيركب فى تصرفه لما قرب الحمار وفى اسفاره الراحلة وقد يركب البغلة فى معارك الحرب دليلاً على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك فى لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيراً منه وقد يفعل هذا فى الامور الدينية مما له الخيرة فى احد وجهيه كخروجه من المدينة الى احد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم موالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمداً يقتل اصحابه كما جاء فى الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد ابرهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذراً من نفار قلوبهم

لذلك

لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال لعايشة فى الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابرهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيراً منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امرى ما استدبرت ما سقت الهدى ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغايب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى فى منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت فى ملائه حتى لا يبدو شئ من اطرافه وحتى كان على رؤس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه ويقول ما كان لنبى ان يكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله لعايشة فى الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل الان له وضحك معه فلما سالته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول فى ظهره ما قال فالجواب ان فعله عليه السلام كان استيلاءً فالمثله وتطيباً لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل فى الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على

الوجه فقد خرج من حد مدارات الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان
يتألفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد
اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي
وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن
لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان
مطاعاً متبوعاً ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة
بل كان جائزاً بل واجباً في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة
والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة
من قوله عليه السلام لعايشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا
ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم
الولاء ففعلت ثم قام خطيباً فقال ما بال اقوام يشترطون شروطاً ليست
في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم
قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من
عايشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام
وهو قد حرم الغش والخديعة **فاعلم** اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم قد
انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق

الحديث

الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ تقع لهم بمعنى عليهم قال
الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال تعالى فان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي
عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف
لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه السلام
اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام
بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان
الولاء لمن اعتق فكأنه قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع و
الى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم و
تقريعهم على ذلك يدل على علمه به قبل هذا الوجه **الثالث** ان معنى
قوله اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته
ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبيناً
ذلك وموبخاً على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف
عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما
جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك
الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله تعالى لقوله كذلك
كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية
فاذا كان ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضاً فان يوسف

كان أعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فكان ما جرى
عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له برواحة وانوا
السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من
قول يوسف فيلزم عليه جواب بحل شبهة ولعل قائله ان حسن التاول
له كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم
قبل يوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان تقول الانبياء
ما لم يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن
زلات غيرهم فصل فان قيل الحكم في اجراء الامراض وشدتها
عليه وعلى غيره من الانبياء عليهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم
الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال
ويحيى وزكريا وعيسى وابرهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله
عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا الله
واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق ولا مبدل
لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الاية ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة
في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات

الصبر

الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء
والتضرع منهم وتاكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على
المبتلين وتنبيه لهم في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو
لهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين
مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو
على الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا
ابو يعلى البغدادي ثنا ابو على السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى الترمذي
ثنا قتيبة ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن
ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل
فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه
يمشي على الارض ما عليه خطيئة كما قال تعالى وكاين من نبي قتل معه
ربيون كثير الايات الثلاث وعن ابي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه
وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عنه عليه السلام
اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر
امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث اخر اذا احب
الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على
الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي

عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل لحم مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت له جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند ال يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروى عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عايشة ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا فقال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك ثم

وفي حديث

وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء وعن انس عنه عليه السلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروى هذا عن عايشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عايشة ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما يحت ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف

عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم
والنفس لذلك بخلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد من اختلاف
احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام
مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع يفيئها الريح هكذا وهكذا تارة وتارة
وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت اعتدلت
وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة
حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلايا والامراض
راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة
تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها
من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا
كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة
نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه
السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته
ونزعه لعادته بما تقدم من الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه
نفسه على المصايب ورقتها وضعفها بتوالي المرض او شدته والكافر
بخلاف هذا معافا في غالب حاله ممتنع بصحة جسمه كالارزة الصماء
حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف
ولا رفق

ولا رفق فكان موته عليه اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه
وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة
وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في
اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من اخذته الصيحة ومنهم
من ارسلنا عليه حاصبا الاية ففجاء جميعهم بالموت على حال عتو و
غفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت
الفجاءة ومنه في حديث ابرهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف
اي الغضب يريد موت الفجاءة قال وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات
وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم
تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون
قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله تعالى
وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية
فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا عليه السلام المغفور له ما تقدم
وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال وحق في بدن
فاقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث
الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبا
لانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص

على الخلاف والله اعلم بمراده ثم نرى الامساك عنه افضل وخبرا وهكذا
سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه الكفار غالبا
لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال
تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك قال عليه السلام في رجل مات
فجاءة سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت
الفجاءة راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر او قال الفاجر وذلك لان
الموت ياتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه
كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه السلام
مستريح ومستراح منه ويأتي او قال الفاجر والكافر منيته على غير
استعداد ولا اهبة ولا مقدمات مزعجة منذرة بل تاتيهم بغتة
فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد
عليه وفراق الدنيا افضع امر صدعه واكره شئ له والى هذا المعنى
اشار عليه السلام بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره
لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه السلام

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد تقدم من
الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم

وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله اذاه
في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه قال الله
تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة
واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون الله ورسوله لهم
عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان
تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى
في تحريم التعريض له يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا وللكافرين الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا
يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة
فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها
لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما
فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل
لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه
لانها في لغة الانصار ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم
لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال
وهاهو ذا عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي
ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان عليه السلام

استجاب لرجل نادى يا ابا القسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا
فنهى حينئذٍ عن التكني بكنيته لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره ممن
لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن ذريعة الى اذاه و
الازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لِسواه تعنيتًا
له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام
حمى اذاه بكل وجه فحمل محققوا العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته
واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب
ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان
شاء الله وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب و
الاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع
من ندائه بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما
كان المسلمون يدعونه برسول الله وبنبي الله وقد يدعونه بكنيته بابا
القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس عنه عليه السلام ما
يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون
اولادكم محمدًا ثم تلعنونهم وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى
احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري وحكى عن محمد
ابن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك

بامحمد

يا محمد وصنع فقال لمحمد لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى محمدًا
عليه السلام يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيًا وسماه عبد
الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم
بذلك وغير اسماء جماعة تسموا باسماء الانبياء ثم امسك والصواب
جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد
سمى جماعة منهم ابنه محمدًا وكناه بابي القسم وروى ان النبي صلى الله عليه
وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام ان ذلك
اسم المهدي وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحه ومحمد
ابن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم
ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلنا الكلام في هذا القسم على
بابين كما قدمنا **الباب الاول** في بيان ما هو في حقه عليه السلام
سب او نقص من تعريض او نص **اعلم** وفقنا الله واياك ان جميع من سب
النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصًا في نفسه او نسبه او دينه
او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له او
الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه او العيب له فهو ساب
له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول
هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحًا كان او تلويحًا وكذلك

من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه
على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام او هجر ومنكر
من القول وزور او عيّره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او
غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة المعهودة لديه وهذا كله
اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم
الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنكدر اجمع عوام اهل العلم ان من سب النبي
صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث
واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل وهو
مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء
وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي
في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك
وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن ينقص النبي عليه الصلاة
والسلام او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة
كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله
حدا او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا
في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير
واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو

محمد

٨

محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف
بما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه
وسلم المنتقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند
الائمة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابرهيم بن حسين
ابن خلد الفقيه على مثل هذا بقتل خلد بن الوليد ملك بن نويرة لقوله
عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم
احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القسم
عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن
مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين
قتل او صلب حيا ولم يستتب قال ابن القسم في العتبية او شتمه او عابه
او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله
توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه
وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه
حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من
سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل
مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك
انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من النبيين من مسلم

اوكافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال استر ذلك او اظهره
ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب
النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري
مثله عن اشهب عن مالك من قال ان رداء النبي ويروى زر النبي صلى الله
عليه وسلم وسخ واراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء
على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا
استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال
يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون
صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال
لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته
قال ولا تقبل توبته وكذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان
وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل
الله برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال
اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن
ابي سليمان للذي ساله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب
ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل

لانه امتهان وهو غير معزر للنبي صلى الله عليه وسلم ولا موقر فوجب
استباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل اد
ما عليك واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سالت او جهلت
فقد جهل وسال النبي بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم
المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق
النبي عليه السلام وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة
وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه
هذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابرهيم الفزاري
وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي
ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب
في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا عليه السلام فاحضر له القاضي
يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين
وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه لما رفعت
خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة وكان اية
للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق
رسول الله عليه الصلاة والسلام وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال
لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال

ان النبي صلى الله عليه وسلم هو من يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص
اذ لا يجوز عليه ذلك في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته
وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه
السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة
موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او
مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا
يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في
حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعده وكذلك اقول حكم من غمصه او
عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة
لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه
فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في
ذلك ويأتي ان شاء الله ما يدل عليه **فصل في الحجة** في ايجاب قتل من
سبه او عابه فمن القرآن لعنه الله تعالى لمؤذيه في الدنيا والاخرة وقرانه
تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وان اللعن انما يستوجبه
من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال [illegible] ان الذين يؤذون الله و
ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة الاية وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك
فمن لعنته في الدنيا [illegible] قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا

تقتيلا

تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا
وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون قاتلهم الله
انى يؤفكون اي لعنهم ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين وفي
اذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله
ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد في
صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال
تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله
ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقوله تعالى و
اذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها
وبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو
اذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى
ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد
ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله
احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة حدثنا ابو
الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيويه قالا ثنا محمد بن نوح ثنا عبد العزيز بن

محمد بن الحسن بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى
عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين رضي الله عنهم
بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه
ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم
بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه آذى الله و
رسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين
وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل
ابا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين
عليه وكذلك امر يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا
تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث اخر ان رجلا كان يسبه
عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انا فبعثه النبي صلى الله
عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار و
يسبه كالنضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم
قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد
البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معاشر قريش مالي
اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير
وروي ايضا ان امراة كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوتي
فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروي ان رجلا كذب على النبي صلى الله
عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى ابن قانع ان رجلا
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك
قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر
ابن ابي امية امير اليمن لابي بكر ان امراة هنالك في الردة غنت بسب النبي
صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك فقال له
لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود
وعن ابن عباس هجت امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي
بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ايضا ان اعمى كانت
له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات
ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي قال
كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق فغضب على رجل من المسلمين وحكى
القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر وروى

النسائي قال اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة
رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك الا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل
الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما
اغضبه او آذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله با
لكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر فكتب اليه عمر انه لا يحل
قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسال الرشيد مالكا في رجل شتم
النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوا بجلده فغضب
مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد نبيها من شتم الانبياء
قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل
كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك و
مؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين
افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذاهب العراقيين بقتله ولعلهم
ممن لم يشتهر بعلم او ممن لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله
يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون
رجع وتاب عن سبه فلم يقله مالك على اصله والا فالاجماع على قتل من

سبه

سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او
تنقصه عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته و
كفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك
والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الاخر انه دليل
على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير
منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه
او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل
استحلاله لذلك وهو كفر ايضا وهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في
مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم
قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير
وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك ياكلك
ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ايضا ان قائل
مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه
وقال عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله
عليه وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة
لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره

فصل فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له

السام عليك وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر الذي قال له ان هذه لقسمة
ما اريد بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد أوذي
موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان
فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستألف
عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم
ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول
يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمداً
يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الناس الكفار والمنافقين و
يجمل صحبتهم ويغضي عليهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا
يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان و
بذلك امره الله فقال الله تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم
فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس الى
التألف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على
الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد
بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن
لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان

به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك
نذر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذاه
حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه
عليه السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل
منهم خفية مع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم و
رجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم
وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا
كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اخلص جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم
وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار
وبهذا اجاب بعض ائمتنا عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده
عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم تصل رتبته
الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امرأة والدماء لا تستباح
الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به
السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة ولو كان
صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه
على فعلهم وقلة صدقهم في اسلامهم وخيانتهم في ذلك

لنا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم انما يقول
السلام احدهم انما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا
البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم
يأت انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان سرًّا
وباطنا فظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد و
الجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد
شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين
وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله
عليه السلام لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد
المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي
صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن
العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رأيت
معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا قال عليه السلام
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن
قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا
والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن
المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله

القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن
لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة
لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى
محمد بن سلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد
الكفار والمنافقين نسختها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل
هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم
منه الطعن عليه والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الرأي وامور
الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا ورأى انه من الاذى
الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود
اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه
من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسامون دينكم و
السام والسامة الملالة وهذا دعاء على سامة الدين ليس بصريح سب
ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث فقال باب اذا عرض الذمي وغيره
بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب
وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى
والسب في حقه عليه السلام سواء وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا

عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا
اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجب الادلة
للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد
الاستيلاف والمداراة على الذين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري
على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف
ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر
لهم عليه السلام على سحره وسمه وهو من اعظم سبه الى ان نصره الله
فسبيهم عليهم واذن له في قتل من حسده منهم وانزلهم من صياصيهم حصونهم
وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من
ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم في السب
فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم
عن جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا
وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عايشة رضي الله عنها
انه عليه السلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة
الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه
فان هذه من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له منه فيما
تعلق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد

فاعله

٢٦٥

فاعله اذاه به لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل وجبل
عليه البشر من الغفلة وكجبذ الاعرابي بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع
صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة و
كما كان من تظاهر زوجتيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه او
يكون هذا مما اذاه به كافر وجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي
الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل انه
قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء
استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق
فصل قال القاضي ابو الفضل تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازراء به
وغمصه تنقيصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين الوجه الثاني لاحق
به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام غير
قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام
بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما
يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان
كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او نقص من مرتبته
او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر
بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او ياتي بسفه من

القول او قبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله
انه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او
سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في
كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد
في الكفر بجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بدعوى شيء مما ذكرنا اذا كان
عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى
الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو
يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى
زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه
وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا
فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله
على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه
فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق
والحدود والقصاص ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله
عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه
ثمل فانصرف لان الخمر حينئذ كانت غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان

سلم

٢٦٦

حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته
او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام
لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه
اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر لا يسقط
القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما
قاله من كذب او غيره فان كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط
قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او
كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القسم في المسلم اذا قال
ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو شيء يقوله يقتل
قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة
المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب وكذلك قال
فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقال سحنون وقال ابن القسم سواء دعا الى
ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية
على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ وزعم انه ارسل الى الناس او قال بعد
نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب
للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتريا على الله تعالى في دعواه

عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء
به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى فهو كافر جاحد وقال من كذب
النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الائمة القتل وقال احمد بن
ابي سليمن صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود
قتل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد
قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل
لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له
كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة فصل
الوجه الرابع ان ياتي من الكلام بمجمل ويلفظ بمشكل يمكن حمله على النبي
صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من
المكروه او شره فها هنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف
المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة و
يحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى
حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرء الحد
بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه
فقال له صلى الله عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه
فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة

الذين

الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن
مضمرا للشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم
الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله
عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم
النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل
القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء ولاجل قول الاخر له صل على النبي
صلى الله عليه وسلم فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له
بهذا عند غضبه فهذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب
الحرث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن
القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا
فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه
وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي
مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق
من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من
اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم اليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات
فلا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكى عن ابي محمد بن ابي زيد فيمن
قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني ادم وذكر انه لم يرد

الانبياء وانما اراد الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد
السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم
من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن من جاء به انه ان
كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك
ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله عليه
السلام وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في
المسئلة المتقدم ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول
بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير وابن مائة كلب وشبهه من هجر
القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من ابائه واجداده
جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام
فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه
ولو علم انه قصد سب من في ابائه من الانبياء على علم لقتل وقد
تضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال
اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم
قولا قبيحا في ابائه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي
صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض
ابائه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رايت لابي

268 موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى ادم انه ان ثبت عليه ذلك
قتل قال القاضي وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه
بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء يتهمون فكيف انت
فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لشناعة ظاهر اللفظ وكان
القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان
يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله
ابن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم
استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض
من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله
ابن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب
فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك فشهد عليه لفيف
من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه
فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه فصل
الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع
بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله عليه السلام الجائزة عليه
في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبيه به او
عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التاسي وطريق

التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل وعدم
التوقير لنبيه عليه السلام او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل
ان قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم او ان كذبت
فقد كذب الانبياء وان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس
ولم يسلم منهم انبياء الله ورسله وقد صبرت كما صبر اولوا العزم من
الرسل او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله من عداه وحلم على اكثر مما صبرت
وكقول المتنبي انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من
اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري كنت
موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير على ان اخر هذا
البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه السلام
وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله اولا انقطاع الوحي بعد محمد
قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في الفضل الا انه لم يأته برسالة جبريل
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل لتشبيه غير النبي صلى الله عليه وسلم
في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت
الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر
واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبريل وقول الاخر من اهل
العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان وكقول

حسان

حسان المصيصي من شعر الاندلسيين في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد
ووزيره ابي بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد
والى امثال هذا فانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف
امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم
بادح هذا العباء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما
ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعر
او اشدهم فيه تصريحا ولسانه تسريحا ابن هاني الاندلسي وابن سليمن المعري
بل قد خرج كثير من كلامهما الى احد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر
وقد اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته
فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الانبياء والملائكة نقصا
ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغمضا فما وقر النبوة
ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة
حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب
مثل لتطييب مجلسه واغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره
وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت
عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب
شنعة مقالة ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره

وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل
هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله فان يك باقي سحر فرعون
فيكم فان عصى موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخنا أنت المستهزئ
بعصى موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتبي ان مما اخذ
عليه وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه
وسلم حيث قال تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد
الشراكان وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك من امل من رسول
الله من نفره لان حق الرسول عليه السلام وموجب تعظيمه وانافة منزلته
ان يضاف اليه ولا يضاف هو فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق
الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه
ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال
تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرض
بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب وقال لا ينبغي
لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأت الانبياء من قبلنا وقال
عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد
كان ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا
وكره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق

الثواب

الثواب والاحتساب وتوقيرا له وتعظيما كما امر الله وسئل القابسي
عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك
الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وكلاهما ملكان
فما الذي اراد اروع دخل عليه حين راه من وجهه ام عاف النظر اليه
لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين
فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على
المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما ذكر مالك
خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الآخر الا ان
يكون المعبس له يد فيرهب لعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا
في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه
يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو
كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب
المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو
الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت
فانك امي فقال الشاب أليس كان النبي اميا فشنع عليه مقالته وكفره
الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما
اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي

صلى الله عليه وسلم وكون النبي اميا اية له وكون هذا اميا نقيصه
فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي عليه السلام لكنه اذا
استغفر وتاب واعترف ولجاء الى الله تعالى فيترك لان قوله هذا لا
ينتهي الى القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب
الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس
شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه اخر بشيء فقال
له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي
صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب
وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله

فصل الوجه السادس

ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة
حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه
الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة
والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح
له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في مجلس او
كتاب على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب
ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان
القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم او رواية الحديث

اويقطع

اويقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه الاشادة
بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من
بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره
عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة
او يؤدب الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم
فيتأكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان
لم يكن القائل بهذا السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب و
حماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن
لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر
سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة وعضد
التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل
هذا وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله
تعالى ايسعه ان لا يؤدي شهادته قال ان رجاء نفاذ الحكم بشهادته
فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة
والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين
المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي عليه
السلام والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي

بمباح واما الاغراض المتقدمه فمتردد بين الايجاب والاستحباب
وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله فى كتابه على وجه
الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما
تلاه الله علينا فى محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله فى احاديث النبى صلى
الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمه واجمع السلف والخلف
من ائمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين فى كتبهم
ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد
لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحرث بن اسد فقد صنع احمد مثله
فى رده الجهمية والقائلين بالمخلوق هذه الوجوه السائغة للحكاية
عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه
على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس و
مقالتهم فى الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفا و
الخوض فى قيل وقال وما لا يعنى فكل هذا ممنوع وبعضه اشد فى
المنع والعقوبة فما كان من قائله الحاكى له على غير قصد او معرفة بمقدار
ما حكاه او لم تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر
على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهى عن العودة
اليه فان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه

من

من البشاعة حيث كان الادب اشد وقد حكى ان رجلا سال عن من
يقول القران مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن
غيرى فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق
الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكى فيما
حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او اظهر استحسانا
لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له والتحفظ لمثله وطلبه و
رواية اشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه
يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية
امه وقد قال ابو عبيد القسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما
هجى به النبى صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من ألف فى
الاجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبى صلى الله عليه وسلم
وكتابته وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين
المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازى والسير ما كان
هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة غير مستبشعة
على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفترى عليه
بذنبه وهذا ابو عبيد القسم بن سلام قد تحرى فيما اضطر الى
الاستشهاد به من اهاجى اشعار العرب فى كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن

اسمه استبراءً لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره
فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم **فصل الوجه
السابع ان** ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف
في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية ويمكن اضافتها اليه او يذكر
ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة
ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بوس زمنه ومر عليه من معاناة عيشه
كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة
للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه
غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ لكن يجب ان
يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده
ويتحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقهه او يخشى به فتنته فقد
كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص
لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا
عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا و
قد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة
فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير
بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج الله

٢٧٧

تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما
سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يتيمه
وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه
تعريف حاله والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله وعظيم مننه
عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذا اظهره
الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا
فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من مالك مقاليدهم واستباحة
ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبا
لمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان
ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب
ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سال ابا سفيان عنه هل
في ابائه من ملك ثم قال ولو كان في ابائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه
واذ اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم
السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد
المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله به فهي
مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى القران العظيم
انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل

تعا

به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجد مثل ذلك من رجل لم
يقراء ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة
البشر وليس فيه ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة
وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت
الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة
لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره
وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك ما عداه هذا
شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه
وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنايه وهلم جرا الى ساير
ما روى من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب
وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن
الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها
كل هذا من فضائله وماثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئاً منها
مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه
وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد
من اخباره واخبار ساير الانبياء عليهم في الاحاديث مما في ظاهره
اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تاويل وتردد احتمال
فلا

فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم
الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث
الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث
بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء و
ليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فاكثرها
ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا
يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على
قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته
ومجازه واستعارته وتبليغه وايجازه فلم يكن في حقهم مشكلة ثم
جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد
العرب الا نصها وصريحها فلا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها
وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن به
ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر
منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف
الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر على
وجه التعريف بانها ضعيفة المعنى واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ
على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة

موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل
كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عنها التنبيه على ضعفها اذ المقصود
بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف
للبس واشفى للنفس **فصل** ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي وما لا يجوز
والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان
يلتزم من كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره
وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه علامات الادب عند
ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض و
الغيض على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه و
النصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله و
اقواله عليه السلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب
بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية
فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما
وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة
واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن الا يكون عنده
علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته
واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي

ومواقعة

ومواقعة الصغائر فهو اولى وآدب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب
او يفعل كذا وكذا من افعال المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما
يجب له من تعزير واعظام وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح
منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قد قوله لاجل
ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما ياباه ويكفر قائله فاذا
كان مثل هذا بين الناس مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم
فاستعماله في حقه عليه السلام اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة
تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال
عليه السلام ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه
فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة واحدة
ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور
توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد
كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في
القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن
حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان
يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه وشانيه ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته

وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه عليه السلام

وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الامام في قتله و
صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك
واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا وان اظهر التوبة
منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمنا
وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا
بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد
وجب عليه لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ ابو الحسن القابسي
اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال
محمد بن ابي زيد مثله واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن
سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل
توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي
ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره
لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه
فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل على توبته وصحتها بمجيئه
تائبا فكاننا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو
الفضل وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبي عليه السلام اقوى ولا

يتصور

يتصور فيه الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي ولامته بسببه
لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة
عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل
واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب
يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه
السلام لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو
لاحد فيه كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو
محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى
على مشهور القول باستتابته ان النبي بشر والبشر جنس يلحقهم المعرة
الا من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا و
ليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد
المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من
الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق
لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط
عنه حد القذف والقتل وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه
من زنا وسرقة وغيره ولم يقتل ساب النبي عليه السلام لكفره لكن لمعنى يرجع
الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا يسقطه التوبة قال القاضي

ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة يقتضي الكفر ولكن بمعنى
الازراء والاستخفاف ولان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر
ظاهرا والله اعلم بسريرته ونفي حكم التسبب عليه وقال ابو عمران القابسي
من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب
لان السب من حقوق الادميين التي لا يسقط عن المرتد وكلام شيوخنا
هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على
رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به
من اهل العلم فقد صرحوا بانه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل
وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر
واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يرى ردته فهو
يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد
عليه به واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر
عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا
حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب
فان قيل فكيف يثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا يحكمون
عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في
القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد

عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك و
نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم
تثبت له خصايصه كقتل تارك الصلوة واما من علم انه سبه معتقدا استحلاله
له فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفر لتكذيبه او تكفيره
ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته و
نقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة
اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه
وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه
يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل
مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها
على ترتيبها يتضح لك مقاصدهم ان شاء الله فصل اذا قلنا بالاستتابة
حيث يصح فالاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في
وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب
وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة
ولم ينكره احد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطا
ابن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي و
احمد واسحق واصحاب الرأي وذهب طاووس وعبيد بن عمير والحسن في

احدى الروايتين عنه الى انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة
وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطبري عن ابي يوسف
وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل
عنه لقوله عليه السلام فاقتلوه وحكى ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد في
الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد
والمرتدة في ذلك سواء وروى عن علي بن ابي طالب لا تقتل المرتدة وتسترق
وقاله عطاء وقتادة وروى عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وبه قال
ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما
مدتها فذهب الجمهور وروى عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها
وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحق و
استحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة
الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد في الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا
الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم
فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا روايتان
عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء
ثلاثا اصحاب الرأي وروى عن ابي بكر الصديق انه استتاب امرأة فلم تتب
فقتلها وقال الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني

وقال

وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروى عن علي يستتاب
شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى
ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث
جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القسم يدعى المرتد الى الاسلام
ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه
ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا
تعطيشا ويؤتى من الطعام ما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة با
لقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك
الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي المواضع يحبس فيها من
السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان
يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد
وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا
قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد و
قاله ابن القسم وقال اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الرأي ان لم يتب في
الرابعة قتل دون استتابه وان تاب ضرب ضربا وجيعا وان لم يخرج من
السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب
على المرتد في المرة الاولى ادبا ان رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي

فصل قال هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول
لم يدفع فيهم فاما من لم يتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد و[اللفيف] / [الجماعة]
من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذا ان تاب على القول
بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر
شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة
حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد
النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته
مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب
عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه او تربص به لاشكال وعايق [اقتضاه]
امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد
عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد
من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقال سحنون وافتى عبد
الرزاق وابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه
شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر
توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل
في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ولا يستطال سجنه ولو كان فيه من
المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن

اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه
وقال في مسئلة اخرى مثلها لا يهراق الدم الا بالامر الواضح وفي الادب با
لسوط والسجن نكال السفها ويعاقب عقوبة شديدة مرة فاما ان لم يشهد
عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحهما ما اسقطهما عنه
ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكأنه لم يشهد عليه
الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما
بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما
وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد **فصل** هذا حكم
المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير
الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه
الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري و
اتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم
ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان
نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الاية ويستدل ايضا عليه
بقتل النبي عليه السلام لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم
نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا
عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا اهل حرب

يقتلون لكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تُسقِط حدود الاسلام عنهم
من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك
حلالاً عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت
لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف الذي ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به
ستقف عليها من كلام ابن القسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب
الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يُسقط
اسلامُه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب
لانا نعلم باطنة الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من
اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع
عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذا كان ظننا بباطنه حكم
ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم يقبل بعدُ رجوعه ولا استنمنا الى
باطنه اذ قد بدت سرايره وما ثبت عليه من الاحكام باقية لم يُسقطها
شئ وقيل لا يُسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه
وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة فلم
يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق
المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم

فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط و
ابن القسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا من
اهل الذمة او احداً من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم وقال ابن
القسم في العتبية وعند محمد بن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له
اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك
انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم
او كافر قتل ولم يستتب ويُروى لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى
ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا
قتلتموه وروى عيسى عن ابن القسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا وانما ارسل
اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شئ عليه لان الله اقرهم على مثله و
اما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو شئ تقوله
او نحو هذا فيقتل قال ابن القسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم و
انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول
الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل قال و
اما ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله
مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القسم ومحمل قوله عندي ان يسلم
طايعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمن ابن سالم في اليهودي يقول للمؤذن

اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي
النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي كفروا به ضربت عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون
فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه
وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا
فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره
لسب نبينا عليه السلام قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على
اقرارهم على سبه ولم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهدهم
من سب منهم ويحل لنا دمه وكذلك لم يحصن الاسلام من سبه من
القتل كذلك لا يحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون
عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما
به كفروا فتامله ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين فحكى ابو
المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فا
ختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله
وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى
خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القسم سالنا مالكا عن نصراني بمصر شهد
عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة ما له لم ينفع نفسه اذ كانت

الكلاب

الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك اري ان تضرب
عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال
ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه
بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن
القسم المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل وان تضرب عنقه
فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك
وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة
بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا
الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية وبنوة عيسى لله وتكذيب
محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به
قال غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القسم بن
الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب
وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب روايتين درأ القتل عنه باسلامه
وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن
الذمي اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق
للعباد كان ذلك من نبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم

ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق
النبي عليه السلام وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره .
ام هل يسقط باسلامه ويحد ثمانين فتأمله فصل في ميراث من قتل
بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلوة عليه واختلف العلماء
في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون الى انه لجماعة
المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزندقة وقال
اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستسرا بذلك وان كان مظهرا
له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو
الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر
من اقراره لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك
لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وساير
احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل
على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن
وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكافر وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر
المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع
وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على
قوله ومثله لابن القسم في العتابية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب

ابن

٢٨٢

ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القسم وحكمه حكم المرتد لا ترثه
ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا يجوز وصاياه
ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد
وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا يقبل منه فاما
المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات
ولم يعدل عليه بينة او لم يقتل انه يصلى وروى اصبغ عن ابن القسم في
كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلن دينا
مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال يقول مالك ان ميراث
المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته [illegible] ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي
ليلى واختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن المسيب
والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحق
وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما
يكسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن
بين وهو على راي اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قولي مالك
في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة
فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقال اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير
واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين



الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في
العتابية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لذمة وقال
ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون
وذهب ابن قاسم في العتابية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب
فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر
كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القسم ابن الكاتب
عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون
فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين
ولكن لانه من فيهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره الباب
الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه وآل النبي
صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه لا خلاف ان ساب الله تعالى من
المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القسم في المبسوط
وفي كتاب ابن سحنون ومحمد بن رواه ابن القسم عن مالك في كتاب اسحق بن
يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افتراء على
الله بارتداده الى دين اخر دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره
لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي
ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك

اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من
الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب
وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما
اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره
واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هرون
ابن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد
شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي
هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابرهيم بن حسين بن
خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح
وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم بن حسن بن عاصم وسعيد بن سليمان
القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس و
الشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب
الله بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد
الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام
ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام فقبل
اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في
هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل الى دين اخر واظهر

السب بمعنى الا انداد فهذا قد علم انه قد خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف
الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر
العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في
فصوله

فصل واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق
السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد والخطأ
المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال
فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول
مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم
يستتابون وان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول
مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم
واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر
بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول
سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن
عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا
والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية
وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله
يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم

وقال مثله ايضا ابن القسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال فاستتابتهم
ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله له في المبسوط في الاباضية و
القدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء
وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القسم من قال ان الله لم يكلم موسى
تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم
وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روي ايضا عن سحنون
مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق
في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد
سئل في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من
مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من
ذات الله واشار الى شيء من جسده يدا او سمعا او بصرا قطع ذلك منه لانه شبه
الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية
ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه
يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله
التستري من ائمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا
الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي
لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة

وابن لهيعة روى عنهم ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك و
الاودى ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزارى وهشيم وعلى بن
عاصم فى اخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفى
الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو
قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا فى الواقفية والشاكة فى هذه الاصول وممن
روى عنهم معنى القول الاخر بترك تكفيرهم على بن ابى طالب وابن عمر والحسن
البصرى وهو راى جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث
الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم و
دفنهم فى مقابر المسلمين وجرى عليه احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل
القاضى وانما قال مالك فى القدرية وساير اهل البدع يستتابون فان تابوا
والا قتلوا لانه من الفساد فى الارض كما قال فى المحارب ان راى الامام قتله
وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو فى الاموال ومصالح الدنيا وان
كان قد يدخل ايضا فى امور الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع
معظمه على الدين وقد يدخل فى امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة

فصل فى تحقيق القول فى اكفار المتاولين قد ذكرنا مذاهب السلف
فى اكفار اصحاب البدع والاهواء المتاولين ممن قال قولا يؤديه مساقه
الى كفر وهو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم

اختلف

اختلف الفقهاء والمتكلمون فى ذلك فمنهم من صوب التكفير الذى قال
به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين
وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقال هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم
من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من
صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب
قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون فى ذلك
ووقفوا على القول بالتكفير او ضده واختلاف قولى مالك فى ذلك
وتوقفه على اعادة الصلوة خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضى
ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا
باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدى اليه واضطرب قوله فى المسئلة على
نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال فى بعض كلامه انهم
على راى من كفرهم بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم ولا
الصلاة على ميتهم ويختلف فى موارثتهم على الخلاف فى ميراث
المرتد وقال ايضا يورث ميتهم ورثتهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك
التكفير بالمال وكذا اضطرب فيه قول ابى الحسن الاشعرى واكثر قوله
ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود البارى تعالى
وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه فى الطرق



فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالى رحمه الله تعالى
فى اجوبته لابى محمد عبد الحق وكان سأله عن المسئلة فاعتذر له بان الغلط
فيها يصعب لان ادخال كافر فى الملة او اخراج مسلم عنها عظيم فى
الدين وقال غيرهما من المحققين الذى يجب الاحتراز من التكفير فى اهل
التاويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطاء فى ترك
الف كافر اهون من الخطاء فى سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه
السلام فاذا قالوها يعنى الشهادة عصموا منى دماءهم واموالهم الا
بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا
ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه
والفاظ الاحاديث الواردة فى الباب معرضة للتاويل فما جاء منها فى
التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم فى الاسلام وتسمية الرافضة
بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك فى الخوارج وغيرهم من اهل
الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد
مثل هذه الالفاظ فى الحديث فى غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر
دون كفر واشراك وقد ورد مثله فى الزنا وعقوق الوالدين والزوج
وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل
قاطع وقوله فى الخوارج هم من شر البرية فهذه صفة الكفار وقال

شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم
فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لاسيما مع تشبيههم بعاد فيحتج
به من يرى تكفيرهم فيقول له الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على
المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام
فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس
كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد فى الحديث دعنى اضرب
عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلى قال وان احتجوا بقوله يقرؤن القران
لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون
من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم الى فوقه
وبقوله يسبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشئ اجابه الاخرون
ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له
صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى فى الفوق وهذا
يقتضى التشكك فى حاله وان احتجوا بقول ابى سعيد الخدرى فى هذا الحديث
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج فى هذه الامة ولم يقل من
هذه وتحرير ابى سعيد رواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة
بفى لا يقتضى تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التى هى للتبعيض
وكونهم من الامة مع انه قد روى عن ابى ذر وعلى وابى امامة وغيرهم فى

هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا
تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد اجاد
ماشاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة
وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في
الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات
كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل
به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول كان تأويله تشبيها
لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما
لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنا
عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق
الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن
العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتأويل و
فارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين في واحد
والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي ابو بكر
الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك
في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال
نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى

واليهود

واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال
وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر با
لاجماع على كفر من لم يكفر احدا من اليهود والنصارى وكل من فارق دين
المسلمين او وقف على تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع
على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه و
التكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر **فصل** في بيان ما هو من
المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا
الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع لا مجال للعقل فيه والفصل البين
في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله
او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر اصحاب الاثنين من الديصانية
والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم او النار او احد
غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن
لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ في الباطنية
والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالاهية الله ووحدانيته ولكنه
اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة
او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه من الازل شيئا قديما

غيره او ان ثمة صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع
المسلمين كقول الالاهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبايعيين وكذلك من
ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول
بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر
من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة
والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعمها
فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالاهية والوحدانية ولكنه
جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا خصوصا او واحد من الانبياء
الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة و
معظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين
ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسمعيلة
والعنبرية من الروافض والعبيدين من الشيعة وان كان بعض هؤلاء قد
اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة
ونبوة نبينا عليه السلام ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى
في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر بالاجماع كالمتفلسفين وبعض
الباطنية والروافض وغلاة الصوفية واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا
ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من

امور

امور الاخرة والحشر والقيمة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى
لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة
لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال
الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا
به وكذلك من اضاف الى نبينا عليه السلام تعمد الكذب فيما بلغه و
اخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او با
حد من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر
بالاجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء ان في كل جنس
من الحيوان نبيا ونذيرا من القردة والخنازير والدواب والدود ويحتج
بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبيا
هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب
المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب من قاله وكذلك
نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم وبنبوة نبينا عليه السلام
ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز
او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به
وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه السلام او بعده كالعيسوية
من القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر

الرسل وكالكثير الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه
وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة
وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان واشباه هؤلاء
ومن ادعى النبوة لنفسه اوجوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى
مرتبتها كالفلاسفة وغلاة الصوفية وكذلك من ادعى منهم انه يوحى
اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة وياكل من
ثمارها ويعانق الحور العين فيها فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي
صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عليه السلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده
واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجتمعت الامة
على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهوم المراد به دون تاويل ولا
تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا
وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا
مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج
بابطال الرجم ولهذا يكفر من دان بملة غير ملة المسلمين من الملل او وقف
فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام او اعتقد
واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف
ذلك وكذلك يقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة

وتكفيرهم

وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد
النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم ولم يطلب
حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة بأ
سرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة بزعمهم والى هذا
والله اعلم اشار مالك في احد قوليه وزعمهم انه عهد الى علي وهو يعلم انه
يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله واله وكذلك
نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه
مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او الشمس والقمر
والصليب والنار والسعي الى الكنائس مع اهلها والزي بزيهم مع شد
الزنانير وفحص الرؤس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر
وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك
اجمع المسلمون على تكفير من استحل القتل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد
علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك
نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا
بالنقل المتواتر من فعل الرسول عليه السلام ووقع الاجماع المتصل عليه
كمن انكر وجوب الخمس صلوات وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب
الله علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات

والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القران نص جلي والخبر به عن الرسول
عليه السلام خبر واحد وكذلك اجمع المسلمون على تكفير من قال من الخوارج
ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء
رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم
وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت
بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهدة الشرايع عنهم و
كذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب
في القران واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة
وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او
غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير
غلطوا او وهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك
وممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد با
لاسلام فيقال له سبيلك ان تسال هذا الذي لم يعلمه بعد كافة المسلمين
فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول عليه السلام
ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هو
الكعبة والقبلة التي صلى اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا
اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي

فعلها

فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات
المذكورة هي التي عليه السلام وشرح مراد الله بذلك وابان حدودها
فيقع لك العلم بذلك كما وقع لهم ولا يرتاب بذلك بعد والمرتاب في
ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله
لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه
لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه
من ذلك واجمعوا انه قول الرسول عليه السلام وفعله وتفسير مراد
الله به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران
وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القران او
حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية
او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة
لقول هشام الفوطي ومعمر الضيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه
لرسوله عليه السلام ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة
في كفرهما بذلك القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما ان يكون في سائر
معجزات النبي عليه السلام حجة له او في خلق السموات والارض دليل
على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم
باحتجاجه بهذا كله وتصريح القران به وكذلك من انكر شيئا مما نص

فيه القران بعد علمه انه من القران الذى فى ايدى الناس ومصاحف
المسلمين ولم يكن جاهلاً به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره
اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه
فنكفره بالطريقين المقدمين لانه مكذب للقران مكذب للنبى صلى
الله عليه وسلم لكنه يستتر بدعواه وكذلك من انكر الجنة والنار او
البعث او الحساب والقيمة فهو كافر باجماع النص عليه واجماع الامة
على صحة نقله متواترًا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد با
لجنة والنار والحشر والنشور والثواب والعقاب معنىً غير ظاهره و
انها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة و
الباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيمة الموت او فناء محض
وانتقاص هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك
نقطع بتكفير غلاة الرافضة فى قولهم ان الائمة افضل من الانبياء
فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التى لا ترجع
الى ابطال شريعة ولا تفضى الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة
تبوك او مؤتة او وجود ابى بكر وعمر او قتل عثمن او خلافة على مما علم با
لنقل ضرورة وليس فى انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره
بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس فى ذلك اكثر من المباهتة كانكار

هشام

هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة على من خالفه فاما ان ضعف ذلك
من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى
ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذى ليس طريقه النقل المتواتر
عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار فى هذا الباب قالوا بتكفير
كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما و
حجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الاية وقوله
عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه
وحكموا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب اخرون الى الوقوف عن
القطع بتكفير من خالف الاجماع الذى يختص بنقله العلماء وذهب اخرون
الى التوقف فى تكفير من خالف الاجماع الكاين عن نظر كتكفير النظام بانكاره
الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف باحتجاجهم به خارق للاجماع
قال القاضى ابو بكر القول عندى ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله
هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راى الا ان يكون هو الجهل بالله
فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله واجمع المسلمون انه لا يوجد الا من
كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما قارنه من
الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني
ان يأتى فعلاً او يقول قولاً يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون

الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنايس بالتزام الزنار مع اصحابها
في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان
الضربان وان لم يكونا جهلًا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان
فان نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرًا في ذلك كقوله
ليس بعالم ولا قادر ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى
فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها او اعراه عنها
وعلى هذا احمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين
كما قدمناه فاما جهل صفة من الصفات فاختلف العلماء هاهنا فكفره بعضهم
وحكي عن ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة
وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري
قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما يكفر
من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله
عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي
رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس
عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب
الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في
القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن

ورد

ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما
لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما
فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير
عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي
اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث نفع مجرد
التوحيد وقيل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته صورة الشك
ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم في قوله
لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما
من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولا علم ومتكلم ولا كلام
له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه
اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه انا نفى العلم انتفى وصف عالم
اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه
قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم
ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم
ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم
انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين الماخذين

اختلف الناس في اكفار اهل التاويل واذا فهمته انضح لك الموجب لاختلاف
الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران
واجرا احكم الاسلام عليهم في قصاصهم وورثاتهم ومناكحتهم ودياتهم
والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وفي سائر معاملاتهم لكنهم
يغلظ عليهم بوجيع الادب وشدايد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم
وهذه كانت سيرة السلف فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة ومن بعدهم
من التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر وراى الخوارج والاعتزال فما ازاحوا
لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا ولكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب
والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كباير
عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن راى غير ذلك
والله الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما مسائل الوعد والوعيد والروية
والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فا
لمنع من اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى
ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من
الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله فصل
هذا حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمي فروى عن عبد الله بن عمر في
ذمي تناول من حرمة الله غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر

عليه بالسيف وطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب وابن القسم
في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون وابن القسم من شتم الله من اليهود و
النصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القسم الا
ان يسلم قال في المبسوط طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفر هو الذي
عوهدوا عليه من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من
الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القسم في كتاب
محمد من شتمه من غير الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه
قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم
لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف
وعبد الملك مثل قول مالك قال محمد بن ابي زيد من سب الله بغير الوجه الذي
كفر به قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول الجلاب قبل وقول عبيد الله وابن لبابة
وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي
كفرت به لله والنبي واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الاخر فيمن سب
النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين
سب الله به وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا من
كفرهم ولا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم
واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم

واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل
لانه دين لا يقر عليه احد ولا يوخذ عليه جزية قال ابن حبيب ولا اعلم من
قاله غيره **فصل** هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله
والالهيته واما مفترى الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة
او النافي ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لى رب او المتكلم بما لا يعقل من
ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه
مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته
وينجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد
العقاب زجر لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك
منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته
وصار كالزنديق الذي لا يامن باطنه ولا يقبل رجوعه وحكم السكران
في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال
غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه
وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يودب
على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على
سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي ابن ابي طالب من ادعى له الالهية وقد
قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد

من

من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب
فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام
المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه
لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر با
لشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابي العراقيد وكان على نحو
مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابو
الحسين بن ابي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل و
قال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لى رب
فهو مرتد وقال ابن القسم في كتاب ابن ابي حبيب ومحمد في العتبية من
تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره و
قاله اشهب في يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك
استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن باريه وادعى
ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا
على القول الاخر من انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران
قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق
لان هذا كفر المتلاعبين **فصل** واما من تكلم من سقط القول وسخف
اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة

ربه وجلاله مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله عز
وجل من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه
غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه
وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم
عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب
الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من
فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر
فقال بدا الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب
الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك
دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي
حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم ربا عبدناه
ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء وما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس
الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب
من حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ
بقول حبيب وصاحبه وامر بقتله وصلب بحضرة الفقيهين وعزل
القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم
واما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن

تنقصا

تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها
وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القسم رحمه الله
عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا
او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله انه
لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله
منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء و
متهتميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما
ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها
لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد
في هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب

رب العباد ما لنا ومالك   قد كنت تسقينا فما بدا لك   انزل علينا الغيث
لا ابا لك   في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب
الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره
والاغلاظ له عن العود الى مثله قال ابو سليمن الخطابي وهذا تهور من القول
والله منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم
احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا
وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل

وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملائكة فان كان المتكلم
في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام
الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل
هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة **فصل** واعلم ان من استخف
القران او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب به
او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى
ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم با
لاجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد **حدثنا** الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد ثنا ابو علي
ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسه ثنا ابو داود ثنا احمد بن حنبل
ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال المراء في القران كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية من كتاب الله من المسلمين
فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل وكتب الله المنزلة او
كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان
القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما
جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس

انه كلام

انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما
فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف اخر مكانه او زاد
فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه
ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا راى مالك قتل من سب
عايشة بالفرية لانه خالف القران ومن خالف القران قتل اي لانه كذب
بما فيه وقال ابن القسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله
عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من القران
تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان
شهد شاهد على من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه
انه قال ان الله ما اتخذ ابرهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ابو عثمن بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون على ان
الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما
قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابرهيم فقال اراه سمع انه من كفر باية
من القران فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية من القران
فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القران فقد كذب به كله
ومن كذب به فقد كفر ومن كفر به فقد كفر بالله تعالى وقد سئل القابسي عمن
خاصم يهوديا فحلف بالتورية فقال الاخر لعن الله التورية فشهد عليه شاهد

ثم شهد اخر انه سأله عن القضية فقال انما لعنت توربة اليهود فقال ابو
الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثانى علق الامر بصفة تحتمل التاويل
اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشىء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم
ولو اتفق الشاهدان على لعن التوربة مجردا لضاق التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد
على استتابة ابن شنوذ المقرى احد الايمة المقرين المتصدرين بها مع ابن
مجاهد لقراءته وقراءته بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه
بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه فى مجلس الوزير ابى
على بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلثماية وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر
الابهرى وغيره وافتى ابو محمد بن ابى زيد بالادب فيمن قال لصبى لعن الله معلمك
وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القران قال ابو محمد واما من لعن
المصحف فانه يقتل فصل وسب آل بيته وازواجه واصحابه عليه السلم
وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله ثنا
ابو الحسين الصيرفى وابو الفضل العدل ثنا ابو يعلى ثنا ابو على السنجى ثنا ابن
محبوب ثنا الترمذى ثنا محمد بن يحيى ثنا يعقوب بن ابرهيم ثنا عبيدة بن ابى
رايطه عن عبد الرحمن ابن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى
احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن آذاهم فقد اذانى ومن

(هامش: قيل اسمه ... هو ابو الحسن محمد بن احمد بن ايوب بن الصلت المقرئ البغدادى)

اذانى فقد اذى الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تسبوا اصحابى فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابى
فانه يجىء قوم فى اخر الزمان يسبون اصحابى فلا تصلوا عليهم ولا تناكحوهم
ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وقال عليه السلام من سب
اصحابى فاضربوه وقد اعلم النبى صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يوذيه
واذى النبى حرام فقال لا توذونى فى اصحابى ومن آذاهم فقد اذانى وقال
لا توذونى فى عايشة وقال فى فاطمة بضعة منى يوذينى ما اذاها وقد
اختلف العلماء فى هذا فمشهور مذهب مالك فى ذلك الاجتهاد والادب
الموجع قال مالك من شتم النبى عليه السلام قتل ومن شتم اصحابه عزر وقال
ايضا من شتم احدا من اصحاب النبى صلى الله عليه السلام ابا بكر او عمر او عثمان
او معاوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير
هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة
الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابى بكر فا
لعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل
الا فى سب النبى صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب
النبى عليه السلام عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد عن ابى

زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلالة و
كفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروى عن
مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد
خالف القران وقال ابن شعبان عنه لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان
القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه
المشركون سبح نفسه لنفسه لقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي
كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عايشة لولا اذ سمعتموه قلتم ما
يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك (هذا بهتان عظيم) سبح نفسه في تبريتها من السوء كما سبح
نفسه في تبريته (ما اتخذ الولد) وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عايشة ومعنى هذا
والله اعلم ان الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه و
قرن سب نبيه واذاه باذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي
نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عايشة بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى
العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه
واسلمه في الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان عبيد الله بن
عمر اذ شتم المقداد بن الاسود وكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى
لا يشتم احد من اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وروى ابو ذر الهروي

ان

ان عمر بن الخطاب اتى باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه
قال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا
الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم
قال والذين تبوءوا الدار والايمان الاية وهؤلاء الانصار ثم قال والذين
جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال
في احد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له
وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله
عليه السلام من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة
حد حد الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما
يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا
كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم عليه السلام ولو سمعه الامام
واشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عايشة من ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب النبي صلى الله
عليه وسلم بسب حليلته والثاني انها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال
وبالاول اقول وروى ابو مصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبي عليه
السلام يضرب ضربا وجيعا ويشتهر ويحبس طويلا حتى يظهر توبته

لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي
فقيه مالقه في رجل انكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق
ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف
ذكر هذا لابنة ابي بكر في هذا الموطن يوجب عليه الضرب الشديد و
السجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو احق باسم الفسق من اسم
الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويؤخر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحه
ثابتة فيه ويبغض في الله فصل قال القاضي ابو الفضل هنا انتهى القول بنا فيما
حررناه وانتجز الغرض الذي انتجبناه واستوفي الشرط الذي شرطناه مما
ارجو ان يكون في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته
ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في
مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع واودعته
غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه او مقتدي يفيدنيه
عن كتابه او فيه لاكتفي بما ارويه عما ارويه والى الله تعالى جزيل الضراعة
في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزيين وتصنع لغيره وان
يهب لنا ذلك بجزيل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه او
وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا
من ابراز خصائصه ووسائله ويحمي اعراضنا من ناره الموقدة لحمايتنا

كريم

٢٩٩

كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا
ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة
نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه
ويخصنا بخصيص زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول واهل
الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمعه و
الهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما اودعناه وفهمه ونستعيذه
جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي
لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا
يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلاته وسلامه
على خير خلقه محمد خاتم النبيين وآله وصحبه اجمعين

تمت
تمام
م